



فكرية أدبية فنية تراثية
تصدر شهرياً عن وزارة الثقافة

العدد المزدوج (4 - 5) تموز وآب 2026 - دمشق

الإشراف العام
وزير الثقافة
محمد ياسين الصالح

المدير الإداري
محمد ارحابي

رئيس التحرير
تيم الحاج هزّاع

مديرة التحرير
مريم حجير

فريق عمل المجلة
عبد الله سعيد
ميشيل لحام
سامر جنيّد

الإخراج الفني
هيثم الشيخ علي

التدقيق اللغوي
مناف بَعّاج

شعار المجلة
الخطاط نضال إبراهيم آغا

الإشراف الفني والطباعي
مرهف عبد الجواد

الهيئة الاستشارية

د. أحمد برقّاوي	د. أحمد إيبش
د. خلدون الشمعة	د. بشير عز الدين
د. رغد الجاجي	أ. رديف مصطفى
أ. فارس الذهبي	أ. علي المسعودي
د. لؤي خليل	أ. لميس الرحبي

• ساحة المالكي - طلعة شوري، دمشق، سوريا
• +963987558240 :
• +963987558240 :
• +963113331556 + 963113331557 :
• mag@moc.gov.sy :
• mag.moc.gov.sy :

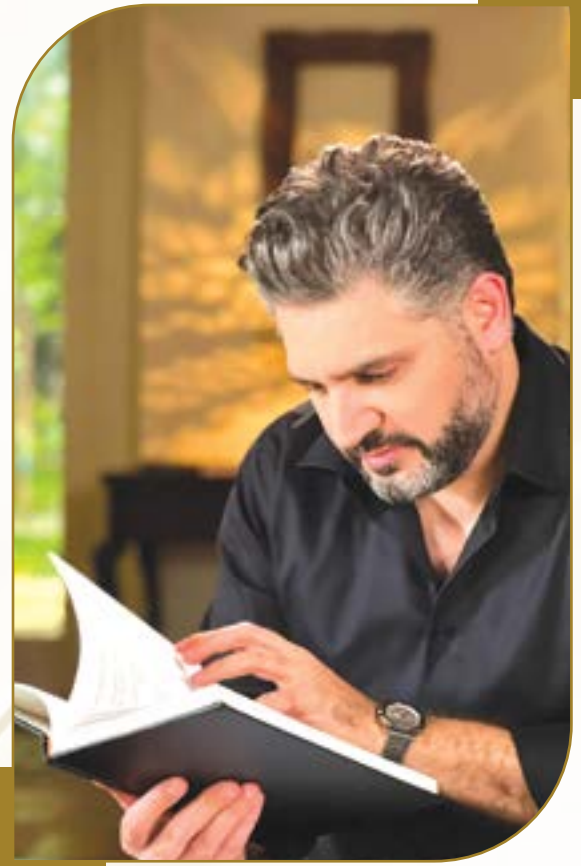
• للمراسلات والاشتراكات، يمكنكم التواصل عبر معلومات الاتصال أعلاه.

مطابع
الهيئة العامة السورية للكتاب

الآراء الواردة في المواد المنشورة تعبّر عن وجهة نظر أصحابها، ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة، كما يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية.

في عُمران المبنى والمعنى والإنسان

للبلاد عُمران يُرى، وعُمرانٌ يَخيا.
عُمرانٌ يرتفع في المكان؛ في بيتٍ ومسرحٍ
ومتحفٍ ومكتبة، وعُمرانٌ يحيا في الإنسان؛ في
لغته وذاكرته وأخلاقه، وفي طريقته ليعرف نفسه،
ويعرف الآخر، ويصنع معه حياةً تليق بالإنسان.
ويا له من عُمرانٍ حين يكون الإنسان غايته.
فنحن حين نتحدث عن الثقافة، نتحدث عن
المعنى الذي يمنح الكتاب والمسرح والمتحف
والقصيدة مكانها في حياة الناس؛ عن كلمةٍ تبقى،
وحكايةٍ تنتقل، وذاكرةٍ تحفظ أثر أصحابها، وطفلٍ
يفتح كتابه الأول، فيُفتح معه شيءٌ من المستقبل.
ثقافةٌ تمتد من مؤسساتها إلى الناس؛ إلى
المدينة والقرية، إلى البادية والجبل والساحل والفرات
والجزيرة، إلى كلِّ مكانٍ في سوريا؛ فكلِّ مكانٍ
حكايته ولهجته وذاكرته وأهله.
وسوريا، يا لاتسع حكايتها.
فيها صورٌ كثيرة من الاجتماع، ومن العادات،
ومن طرائق عيش الناس بعضهم مع بعض. وفي
المضافة يتسع المكان لمعاني الضيافة واللقاء
والصلح والتكافل؛ فيها ضيفٌ يُكرم، ومختلفون
يجمعهم مجلس، ومظلومٌ يرجو إنصافاً، وذاكرةٌ
تتناقلها الصدور من جيلٍ إلى جيل.
وفيها تتجلى صورةٌ من صور الاجتماع السوري،
وما راكمه عبر الزمن من أعرافٍ وقيمٍ وطرائق في
وصل الناس بعضهم ببعض.
وفيها المتحف والمسرح والكتاب والحرفة
والأغنية والحكاية؛ صورٌ أخرى يحفظ بها الناس
أثرهم، ويضيفون بها إلى عمرانهم.
وفي هذا المعنى، تجتمع «مهرجانات صيف
سوريا»، و«مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي»،
و«الملتقى السوري لفن الخط العربي والزخرفة» في
معنى ثقافيٍّ واحد؛ فالكلمة تستعيد مكانها في بناء
الوعي، والحرف يستقيم على ميزانه فيصنع الجمال،



محمد ياسين الصالح
وزير الثقافة

حتى يصبح للثقافة أثرٌ في الشارع، وفي البيت، وفي المدرسة، وفي الطريقة التي ينظر بها الناس بعضهم إلى بعض.
وهنا يتجلى الجوهر الإنساني والأخلاقي للعمل الثقافي.

نريد لأبنائنا أن يكبروا وهم يعرفون سوريا كلها.
يعرف ابن المدينة شيئاً عن البادية، ويعرف ابن الساحل شيئاً عن الفرات، ويعرف ابن الجزيرة شيئاً عن الجبل، ويعرف السوري أن اختلاف اللهجة والعادة واللباس والحكاية يفتح أمامه باباً إلى معرفة أوسع ببلاده وأهلها.
نريد للسوري أن يعرف أخاه السوري.
أن يسمع حكايته.
أن يرى الحياة من مكانه.
أن يفهمه.

هذه هي سوريا التي نريد لأبنائنا أن يتربوا فيها؛ سوريا التي تكون فيها الثقافة حقاً يصل إلى كل مكان، والمعرفة باباً مفتوحاً، والتنوع طريقاً إلى التعارف، والاختلاف مساحةً أوسع لفهم بعضنا بعضاً.

وحين نعيد متحفاً إلى الحياة، أو نفتح مركزاً ثقافياً، أو نضع كتاباً في يد طفل، أو نحفظ حكاية من النسيان، أو نمح موهبةً فرصة كي تظهر، فنحن نبني.

نبني في المكان، ونبني في المعنى، ويظل الإنسان غاية ما نبنيه.
فالمنبى يأخذ قيمته مما يجري فيه، والتراث يأخذ حياته ممن يعرف معناه، والكتاب يأخذ أثره ممن يقرؤه، والمؤسسة الثقافية تستمد مكانتها من الإنسان الذي تصل إليه، ومن الباب الذي تفتحه أمامه إلى المعرفة والجمال.

وهكذا يتسع العمران من المكان إلى الإنسان.
عمرانُ البلاد فيما نشيده ونصونه، وعمرانُ المجتمع فيما يحفظه من قيمٍ وذاكرةٍ ومعرفة، وعمرانُ الإنسان فيما يستقر فيه من وعيٍ وذاكرةٍ وخُلق، وفي قدرته على أن يعرف الآخر ويعيش معه.
هذا هو العمران الذي نريده لسوريا؛ عمرانٌ يحفظ للمكان قيمته، وللمعنى غايته، ويضع الإنسان في القلب منهما؛ غاية البناء، وحامل الذاكرة، وصانع ما سيأتي بعدها.

فالبلاد تُعمر بما نبنيه فيها، والأوطان تُعمر بما نبنيه في الإنسان.
وأبقى العمران ما استقر في الإنسان معنئ، وظهر في الحياة خُلقاً وأثراً.

والثقافة تصل إلى الناس في مدنهم وفضاءاتهم، فتصل الإنسان بلغته وذاكرته وذائقته ومكانه.

فالشعر يُسهم في بناء المعنى، والخط العربي يكشف أن الجمال يقوم على ميزان، و«صيف سوريا» يضع الثقافة في قلب الحياة اليومية؛ بين الناس، وفي العائلة، وفي المدينة، وفي المكان الذي تتكوّن فيه الذاكرة. وتتعدد الأدوات، وتبقى الغاية واحدة: أن تتحول الثقافة إلى أثرٍ يستقر في الإنسان، ويظهر في وعيه وذائقته وعلاقته ببلاده وبالآخرين.

كل ذلك عمران.
وكل ذلك جزءٌ من الصورة التي عرف السوريون بها أنفسهم، وعرفوا بها بلادهم.
وحين نحفظ هذا العمران، فإننا نحفظ ما يعيننا على المستقبل.

نحفظ من تراثنا ما فيه من حكمةٍ وجمالٍ وتكافٍ وكرم، ونقرؤه بعين تعرف أن الزمن يمضي، وأن الإنسان يتغير، وأن ما وصل إلينا من الأجيال السابقة يحمل ما يستحق أن يبقى، وما يستحق أن يُقرأ من جديد، وما يكتمل معناه حين يجد مكانه الصحيح في زمنه.

فالأصالة أن نعرف جذورنا، والتجدد أن نعرف ماذا نصنع بها.

ومن هنا يأتي الطفل.
بل من هنا يبدأ المستقبل كله.
الطفل الذي يسمع اليوم أول كلمة، ويقرأ أول حكاية، ويجرب أول لون، ويصعد أول خشبة، ويقف للمرة الأولى أمام أثرٍ من ذاكرة بلاده؛ هذا الطفل يعيش لحظةً يتكوّن فيها شيءٌ سيبقى معه.
تتكوّن ذائقة.

ويولد سؤال.
وتتسع معرفة.
وتتشكل صورةٌ عن النفس، وصورةٌ عن الوطن.
ولهذا فإن أثر العمل الثقافي أوسع من لحظة الفعالية وأبقى منها.
قد تنتهي الفعالية في ساعة، ويبقى أثرها سنوات.

قد يغلق الطفل كتابه، وتبقى منه جملة.
قد يغادر المسرح، وتبقى صورة.
قد يخرج من المتحف، ويبقى سؤال.
وهذه النقاط هي التي تتراكم.
نقطةً بعد نقطة.
وكتاباً بعد كتاب.
وطفلاً بعد طفل.

الافتتاحية

في عُمران المبنى والمعنى... والإنسان

محمد ياسين الصالح
وزير الثقافة

2

مقاربات

من المضافة إلى فضاء الطفل

تيم الحاج هزاع
رئيس التحرير

6

حوار خاص

مدير إدارة المراكز الثقافية في وزارة

الثقافة أنس الدغيم

نحو مراكز ثقافية
تعبر عن مجتمعاتها وتعيد
وصل السوريين بعضهم ببعض

8

أقلام عربية

سوريا..

منها ابتدأت الأبجدية
وفيها ينتهي البيان

أسامة القاسم

13

رؤى وأفكار

البنية
والإرادة

د . أحمد برقانوي

15

قضية وآراء

العشائرية ثقافياً واجتماعياً.. قراءة في التحولات

فاعلية المرأة في مدينة الرقة ووادي الفرات..
رؤية ثقافية

د . د . شهلا العجيلي

21

دار الوثائق الشفوية..
المضافة والتاريخ اليومي المهدور

إسلام أبو شكير

18

العشيرة وسؤال التاريخ..
من سرديّة القبيلة إلى سرديّة الدولة

د . أيمن يزبك

27

الدور الثقافي والاجتماعي للعشائرية
في بناء سوريا الجديدة

مهند الكاطع

25

المضافة والمجلس..
فضاء الكلام والعرف والصلح والمكانة

عجاهد الحريري

36

تمثيل الفرات بمدينته وعشائريته في الدراما
التلفزيونية السورية.. بناء الشخصية وإنتاج المعنى

حسن عبد الله الخلف

30



ثقافة تبدأ من الطفولة ولا تتوقف.. من الأنشطة
المتفرقة إلى منظومة وطنية لثقافة الطفل

زهير البري

40

ثقافة الطفل السوري اليوم..
بين الضرورة وتحفيز الإبداع

نور الطباع

44

البيت أول وطن
في قلب الطفل

نور دقدوقة

46

حين يصبح الفن ملاذاً.. الثقافة التفاعلية
واستعادة صوت الطفل.. من التلقي إلى المشاركة

رغد بوظو

48

أعلام سورية



الشيخ محمد عيد العباسي..
تسعة عقود بين العلم
والسجن والفقد

58

عدسة من ثقافتنا



القلمون يحفظ أسرارهم..
متحف جيروود الخاص
مرآة لحياة مضت وذاكرة باقية

52

سينما



قبر البراعات المضيئة..
لماذا كان عليهم أن يموتوا
بهذه السرعة؟

50

تقارير ثقافية



سيرة الخط العربي ومسيرته
في ملتقى الخطاطين
السوريين

74



صيف سوريا..
مهرجان واحد
بملاح المدن السورية

69



مهرجان دمشق الدولي
للشعر العربي..
ماذا تؤسس الدورة الأولى؟

64

أما بعد..

ما يبقى بعد الصفحة الأخيرة

مريم حجير

96

الحصاد

الحصاد
الثقافي

78

من المضافة إلى فضاء الطفل

أكتب وأنا ابن دير الزور، المحافظة التي عرفت فيها العشيرة قبل أن أقرأ تعريفاتها في الكتب، ورأيت حضورها في المضافات والدواوين، وفي الحكايات التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء، وتحفظ في الذاكرة السورية أسماء الأمكنة والرجال والوقائع.

تتجاوز المضافة في دير الزور كونها مجلساً للضيافة لتمثل فضاءً اجتماعياً لإدارة الخلافات وبناء التوافقات، حيث يلتقي الناس لتبادل الروايات والاستماع المتبادل، والسعي إلى صياغة حلول تحدّ من اتساع النزاع وتحفظ الحقوق وتعيد ترميم الروابط الاجتماعية؛ ففيها عُقدت المصالحات، وورّدت المظالم، وثُبّتت العهود، وعاد متخاصمون إلى طاولة الحوار بعدما كادت القطيعة تصبّح واقعاً دائماً، وقد شهدت المنطقة عبرها إنهاء نزاعات امتدت ما يقارب مئة عام، حين نجحت الحكمة العرفية في كسر دوائر العنف وإعادة وصل ما انقطع بين الناس.

وفي صدارة هذا الفضاء، يحتل شيخ العشيرة أو كبير العائلة موقعاً محورياً، تستمدّ كلمته مشروعيتها من تراكم الخبرة والمعرفة بالأعراف والقدرة على تهدئة النفوس، لا من عامل السن وحده، بحيث تتحول مداخلته إلى أداة لإنتاج تسويات تحفظ كرامة الأطراف وتعيد قدراً من التوازن إلى الجماعة.

ولعلّ من أبرز الشواهد المعاصرة التي تؤكد فاعلية هذا الدور العشائري واستمراريته، ما شهدته مدينة الميادين بريف دير الزور من صلح عشائري حاشد وُصف بالتاريخي، أنهى نزاعاً دموياً استمر أكثر من مئة عام بين عشيرتي «الوهبي» و«السماكة» من قبيلة «الكلعين»، فقد طوى هذا الحدث عقوداً من الاحتقان والتوتر، كانت قد أودت بحياة 14 شخصاً وكسّرت حالة من الحذر والقطيعة، ليعيد تأكيد قدرة الأطر الاجتماعية التقليدية، وفي مقدمتها المضافة، على إنتاج حلول مستدامة للنزاعات، حتى في أكثرها تعقيداً وامتداداً زمنياً.

غير أن حياة العشيرة لم تُصنع في مجلس الرجال وحده، فقد أدّت المرأة دوراً عميقاً في حفظ توازن العائلة وصلة القربى، ونقل الحكايات والأغاني والأهازيج والعادات إلى الأبناء، وكانت تعرف تفاصيل البيوت والعلاقات، فتدخل بكلمة تهدئ الغضب، أو برسالة تفتح طريقاً للصّح، أو بوساطة تمنع خصومةً من أن تمتد إلى الأبناء، فكان لرأيها أثر في قرارات العائلة والعشيرة، وإن جرى بعيداً عن المجلس الظاهر.

من هذه الخبرة القريية، يفتح باب «قضية وآراء» في العدد الرابع من «مجلة الشام» النقاش بشأن العشيرة ودورها الثقافي والاجتماعي في سوريا، بعيداً عن الأحكام الجاهزة التي تختصرها في صورة واحدة، وقريباً من تاريخها وتحولاتها وما حملته من قيم وعلاقات وذاكرة.

فالعشيرة تكوين اجتماعي ضارب في التاريخ، أسهم في تنظيم حياة الجماعات، وحماية أفرادها، وحفظ تراثها الشفوي، وفي مجالسها وبيوتها استمرت القصائد والحكايات والأمثال، وعاشت تقاليد الضيافة والتكافل وإصلاح ذات البين، وهي جزء من مجتمع تغيّر بفعل المدينة والدولة والحروب والنزوح، وتبدلت معه وظائفها وأدوارها.

إن قراءة العشيرة ثقافياً تعني أن نبحت في المضافة والبيت، وفي الشعر واللباس والموسيقى والطقوس، وفي أدوار الرجال والنساء.

وتعني أن نسأل: كيف تتحول روابط القرابة إلى طاقة تخدم المجتمع؟ وكيف تسهم العشيرة في السلم الأهلي وترميم الثقة، ضمن دولة يحكمها القانون، وتجمع أبناءها المواطنة والحقوق المتساوية؟



تيم الحاج هزّاج
رئيس التحرير

ومن سؤال الذاكرة والجذور، وما يرافقه من أسئلة الحاضر والتحويلات، ينتقل ملف العدد إلى سؤال المستقبل: الطفل وثقافته.

ما نزرعه في وعي الطفل اليوم سيظهر غداً في علاقته بنفسه وبالآخرين، وفي نظرتة إلى المختلف عنه، وفي قدرته على التفكير والإبداع والحوار؛ لذلك يقترب ملف «الثقافة والطفل» من الطفولة، المرحلة التي يؤسس فيها الإنسان لغته وخياله وانتماءه، وتتقاطع فيها مسؤوليات الأسرة والمدرسة والمجتمع والمؤسسة الثقافية.

لقد عاش الطفل السوري سنواتٍ ثقيلة، حمل فيها آثار الخوف والنزوح والفقد وانقطاع التعليم، وهنا تكتسب الثقافة معنى أعمق من النشاط العابر، فكتاب يصل إلى قرية، ومسرحية تجوب مدينة بعيدة، وورشة فنية تكتشف موهبة طفل، وحكاية تعيده إلى ذاكرة منطقته، خطوات تفتح أمامه نافذةً على الحياة.

ويضيء الملف رؤية وزارة الثقافة وبرامجها الموجهة إلى الأطفال واليا فعيين، وما تحمله من اهتمام بتوسيع الوصول إلى المعرفة والفنون، واكتشاف المواهب، وتنمية المهارات والقيادة والإبداع، فالعدالة الثقافية تبدأ حين يجد طفل في الريف أو في منطقة بعيدة فرصة حقيقية للقراءة والتعلم والتجربة، وحين تصبح الثقافة جزءاً من حياته اليومية.

تبدو العشيرة والطفولة موضوعين متباعين، غير أن بينهما صلة عميقة. فالعشيرة كانت أحد الفضاءات التي انتقلت عبرها الثقافة والذاكرة والقيم، والطفل هو من سيتلقى هذا الموروث ويعيد صياغته. وبين الاثنين تقع مسؤوليتنا في اختيار ما نحفظه، وما نطوره، وما نسلّمه للأجيال المقبلة.

وفي باب «أعلام سورية»، نلتقي الشيخ محمد عيد العباسي في حوار يستعيد محطات من سيرته العلمية والثقافية، ويمنحنا شهادةً من ذاكرة سوريّة ما زالت حية. وتحمل مثل هذه الحوارات قيمةً تتجاوز سيرة الشخص، إلى توثيق جانب من تاريخ سوريا، وتسجيل تحولات مرحلة كاملة، وحفظ تجربة تستحق أن تصل إلى الأجيال المقبلة.

وفي «أقلام عربية»، يأخذنا أسامة القاسم، أحد بلغاء «عكاظ»، إلى سوريا كما تسكن الوجدان العربي، أرض الأبدية والبيان، والحاضرة في اللغة والتاريخ والذاكرة.

وفي «تقارير ثقافية»، تتابع المجلة جانباً من الحراك الثقافي السوري، من الدورة الأولى لـ «مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي»، إلى «الملقى السوري لفن الخط العربي والزخرفة»، وما حمله من قراءة لمسيرة الخط العربي وذاكرته، وصولاً إلى مهرجان «صيف سوريا» الذي امتدت فعالياته في المدن والمحافظات السورية.

وتقودنا «عدسة من ثقافتنا» إلى متحف جيروود الخاص، حيث تحولت أدوات الحياة اليومية إلى سجل لذاكرة المكان، فيما يوثق «الحصاد» حركة ثقافية تمتد في المحافظات، من استعادة الآثار وتأهيل المسارح والمواقع التاريخية، إلى افتتاح المكتبات وإقامة المعارض والمهرجانات ووصول الأنشطة إلى الأطفال والمجتمعات المحلية.

وتبقى الفكرة التي حملتها «مجلة الشام» منذ عدها الأول: أن يتعرّف السوريون بعضهم إلى بعض، وأن يزّوا في تنوع حكاياتهم وبيئاتهم وذاكراتهم صورة وطن واحد، يمتلك جذوراً عميقة، ويمنح أطفاله فرصةً أوسع لصناعة المستقبل.

مدير إدارة المراكز الثقافية

في وزارة الثقافة أنس الدغيم لـ «مجلة الشام»

نحو مراكز ثقافية تعبر عن مجتمعاتها وتعيد وصل السوريين بعضهم ببعض

«مجلة الشام» - دمشق - خاص:

تمثل المراكز الثقافية العصب التنفيذي لرؤية وزارة الثقافة وسياساتها، والمساحة الأقرب إلى الناس ضمن عملها؛ فمن خلالها تتحول التوجهات الثقافية إلى برامج تصل إلى المدن والبلدات، وتكتشف المواهب، وتحفظ الذاكرة المحلية، وتبني مساحات للحوار والتعارف.

تضم المراكز التابعة للوزارة نحو 580 قصراً ومركزاً ونافذة ومحطة ثقافية، وتشير التقديرات الأولية إلى أن نحو 65% منها خارج الخدمة، فيما تعمل المنشآت المتبقية بدرجات متفاوتة من الجاهزية.

أمام هذا الواقع، تسعى إدارة المراكز الثقافية لاستعادة وظيفة هذه المراكز، وتأهيل أبنيتها وكوادرها، وتنظيم عملها ضمن جدول ثقافي متكامل، بما يخدم أحد أهداف الوزارة الإستراتيجية: «تعريف السوريين بالسوريين».

في هذا الحوار، يتحدث مدير إدارة المراكز الثقافية أنس الدغيم إلى «مجلة الشام» عن واقع المراكز بعد التحرير، وإستراتيجية الإدارة، وأولويات التأهيل، والأساليب الثقافية والمهرجانات والمشروعات الشعبية والتطوعية، والعدالة في توزيع البرامج، ودور الثقافة في إعادة بناء الصلة بين السوريين ومجتمعاتهم.

كيف تصفون واقع المراكز الثقافية

بعد التحرير؟

كان الواقع سيئاً جداً، إذ وجدنا تفاوتاً كبيراً بين مركز وآخر وبين محافظة وأخرى، مع منشآت متضررة وأخرى تفتقر إلى الإمكانيات والكوادر، فيما حافظت بعض المراكز على نشاط محدود بجهود فردية وإمكانات متواضعة.

وتشير التقديرات الأولية إلى خروج نحو 65% من القصور والمراكز والنوافذ والمحطات الثقافية عن الخدمة، فيما تعمل المنشآت الباقية بدرجات قليلة من الجاهزية. وهذه النسبة لا تعبر عن الضرر الإنشائي وحده؛ فقد يكون البناء قابلاً للاستخدام، لكنه يفتقر إلى التجهيزات أو الكادر أو البرنامج القادر على جذب الناس.

كما وجدنا ترهلاً إدارياً ومهنيّاً تراكم على مدى سنوات، واختلالاً في توزيع العاملين، ونقصاً في الاختصاصات التي يحتاج إليها العمل

الثقافي؛ فقد يضم المركز عدداً من الموظفين، لكنه يفتقد الكفاءات القادرة على إعداد المحتوى، وإدارة البرامج، والتواصل مع المجتمع، واكتشاف المواهب، وتحويل الأفكار إلى مشروعات قابلة للتنفيذ.

ولا يمكن فصل هذا الواقع عن الطريقة التي تعامل بها النظام البائد مع المؤسسات الثقافية؛ فكما يفعل أي نظام شمولي مستبد، أخضعها لخطابه السياسي والأمني، وحوّل مراكز كثيرة إلى وحدات تنفذ برامج مركزية متكررة، بصرف النظر عن طبيعة المنطقة أو حاجات أهلها.

كان المركز، في هذا السياق، يعمل ضمن إطار محدد سلفاً يعيد إنتاج خطاب واحد، امتداداً لسياسات إخضاع المؤسسات الثقافية للبعد السياسي والأمني، وهو ما أفرغ الفعل الثقافي من وظيفته الأساسية.

وفي ظل هذا الإطار، بقيت ذاكرة المجتمع وأسئلته ومبادراته وأصواته

المستقلة خارج دائرة الفعل الثقافي، ما أدى إلى تضيق المساحة أمام التجارب المحلية، وتكرار الأسماء والأنشطة، وتراجع حضور الفنون والأفكار التي تعكس تنوع المجتمعات السورية.

ثم جاءت الثورة، وما واجهها به النظام من قتل واعتقال وحصار وتهجير، فتضاعف الضرر، فقد دُمّرت مدن وبنى عامة، وتوقفت مراكز ثقافية، وتضررت أبنية وتجهيزات، وتفرقت كوادر، وانقطعت صلة أجيال بالمكتبة والمسرح والموسيقا والفن والمكان الثقافي العام.

وهكذا اجتمع الضرر المادي مع ضرر أصاب وظيفة المركز وثقة الناس به. لذلك لا نتعامل اليوم مع مهمة ترميم أبنية فحسب، وإنما مع إعادة بناء المؤسسة الثقافية من الداخل، واستعادة علاقتها بالمجتمع.

ما إستراتيجية عمل إدارة المراكز الثقافية في المرحلة المقبلة؟





البرامج والموارد، وضمان وصول العمل الثقافي إلى المدن والبلدات والمناطق البعيدة.

كيف تنعكس التحولات التي عاشها السوريون خلال السنوات الماضية في عمل المراكز وبرامجها؟

دخلت التحولات التي خلّفتها سنوات النزوح والتهجير واللجوء والغربة في صميم العمل الثقافي، لأنها غيّرت علاقة كثير من السوريين بالمكان والذاكرة والمجتمع. هناك أشخاص انقطعت صلتهم بمدنهم وقراهم سنوات طويلة، وأطفال وُلدوا بعيداً عن مناطق عائلاتهم، ومدن وبلدات استقبلت سكاناً وتجارب جديدة، وأشخاص عادوا إلى أماكن تغيرت ملامحها وعلاقاتها الاجتماعية. لذلك يحتاج البرنامج الثقافي إلى مساعدة الناس على استعادة علاقتهم بالمكان، والتعبير عن تجاربهم، وتعريف الأجيال الجديدة بتاريخ مناطقها، وفتح مساحات للحوار بين السكان والوافدين والعائدين. ولا يعني ذلك تحويل كل نشاط ثقافي إلى نقاش مباشر عن الحرب أو النزوح. فيمكن أن تتحقق هذه الغاية من خلال مسرحية، أو معرض فني، أو حكاية شعبية، أو أمسية موسيقية، أو ورشة للأطفال.. المهم أن يفسح البرنامج المجال لذاكرة الناس وأصواتهم وتجاربهم.

ترتبط بشعراء ومدن سورية، منها مهرجان البحتري في منبج، وأبي تمام في جاسم، ونزار قباني في دمشق، وأبي العلاء المعري في معرة النعمان، وبدوي الجبل في اللاذقية، ومحمد الفراتي في دير الزور.

وعلى المستوى الدولي، تعمل الإدارة على تنظيم "مهرجان أيام البردة الدولي للمديح النبوي" و"مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي"، بما يعزز التواصل الثقافي العربي، ويفتح المجال أمام التبادل بين الشعراء والمبدعين.

كما تتضمن مشروع الأيام التطوعية، من خلال تخصيص اثني عشر يوماً على مدار العام وتحديد اليوم الأخير من كل شهر لإشراك الشباب والمجتمعات المحلية في مبادرات ثقافية وتعليمية وصحية وبيئية ومجتمعية، بما يعزز المسؤولية والانتماء والعمل المشترك.

وتُعدّ البرامج بالتنسيق مع الجهة المعنية في الوزارة؛ فالأنشطة الموجهة إلى الأطفال واليا فيين تُنفّذ بالتعاون مع مديرية ثقافة الطفل واليا فيين، ومشروعات التراث الثقافي اللامادي بالتعاون مع المديرية المعنية، وهكذا بحسب اختصاص كل برنامج.

وتجتمع مكونات هذا الجدول تحت هدف إستراتيجي هو "تعريف السوريين بالسوريين"، فيما تمثّل العدالة الثقافية مبدأ حاكماً لتوزيع

تنطلق الإستراتيجية من إعادة المراكز إلى وظيفتها الأساسية، وتحويلها إلى منظومة ثقافية وطنية تعمل بانتظام على مدار العام، وترجم رؤية وزارة الثقافة إلى برامج تصل إلى الناس، مع الحفاظ على خصوصية كل محافظة ومجتمع محلي.

يبدأ العمل بإعادة تأهيل المراكز وتشغيلها، ولا يقتصر ذلك على المباني والتجهيزات، وإنما يشمل تطوير الإدارة، وتأهيل الكوادر، ومعالجة نقص الخبرات والاختصاصات، وإعادة بناء العلاقة بين المركز والمجتمع.

وينعكس الجانب البرامجي من الإستراتيجية في جدول ثقافي متكامل ينظّم عمل المراكز على مدار السنة، ويجمع بين الأسابيع الثقافية، والمهرجانات المحلية والدولية، والمشروعات الثقافية المستدامة، والأيام التطوعية.

يتضمن الجدول اثني عشر أسبوعاً ثقافياً، تبدأ بأسبوع اللغة العربية، ثم أسبوع المسرح، وأسبوع الخط والرسم والفن التشكيلي، وأسبوع التراث المادي، وأسبوع الثقافة المجتمعية، وأسبوع التراث الثقافي اللامادي، وأسبوع ثقافة الطفل، وأسبوع الشعر والفنون الأدبية، وأسبوع الأغنية والموسيقا السورية، وأسبوع المرأة السورية، وأسبوع الكتاب، وصولاً إلى أسبوع النصر في نهاية العام. وتضم أيضاً مهرجانات محلية

وتقاس عودته أيضاً عملياً من خلال مؤشرات واضحة مثل انتظام النشاط، وعدد الحضور الفعلي، واستمرارية المشاركة، وعودة الناس تدريجياً إلى استخدام المركز، وشعورهم بأن ما يُقدّم فيه قريب من واقعهم وحاجاتهم اليومية.

كيف ستعمل الأسابيع الثقافية

على مدار العام؟

يتكون مشروع الأسابيع الثقافية من اثني عشر أسبوعاً موزعةً على مدار السنة، حيث تقام الأسابيع الثقافية خلال الأسبوع الأول من كل شهر ويهدف المشروع إلى رفع مستوى الوعي الثقافي المجتمعي وتعزيز الهوية الثقافية السورية وإشراك مختلف الفئات العمرية والمجتمعية في الأنشطة الثقافية والفنية، وتفعيل دور المديريات الثقافية على مدار العام. ومن هذه الأسابيع أسبوع اللغة العربية، والمسرح، والخط والرسم والفن التشكيلي، والتراث المادي واللامادي، والثقافة المجتمعية، والتراث اللامادي، وثقافة الطفل، والشعر والفنون الأدبية، والأغنية والموسيقى السورية، والمرأة السورية، والكتاب، والنشر.

ويمنح هذا التنظيم المراكز إيقاعاً ثابتاً للعمل، ووقتاً كافياً للاستعداد والتنسيق، كما يضمن وصول المحتوى الثقافي إلى مختلف المحافظات، ويسهم في بناء الجمهور، واكتشاف المواهب، وتحويل النشاط الثقافي إلى مسار منتظم على مدار العام.

ما الرؤية التي تقوم عليها

المهرجانات المحلية والدولية؟

تنظّم الإدارة "مهرجان أيام البردة الدولي للمديح النبوي" و"مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي"، ليمثلاً منصتين للتواصل الثقافي العربي، واستضافة الشعراء والمبدعين، وتعزيز حضور الشعر في الحياة العامة.

أما المهرجانات المحلية، فتربط بشعراء ومدن سورية، وتعيد الرموز الأدبية إلى البيئات التي خرجت منها. فعندما يُقام مهرجان البحري في منبج، أو أبي تمام في جاسم، أو أبي

ضعف المساحات العامة، كما يُعاد النظر في الكوادر عبر التأهيل وإعادة التوزيع والاستفادة من الخبرات المحلية.

الهدف أن يعود كل مركز بخطة واضحة وكادر مؤهل وبرنامج منتظم؛ لأن تشغيل المبنى دون وظيفة ثقافية حقيقية يعيد المشكلات السابقة.

متى يمكن القول إن مركزاً ثقافياً

عاد فعلاً إلى العمل؟

يعود المركز فعلياً عندما يستعيد وظيفته داخل مجتمعه، لا بمجرد فتح أبوابه أو جاهزية مبناه، بل بقدرته على تشغيل نشاط منتظم ولو بإمكانات محدودة، وبوجود كادر قادر على إدارة الحد الأدنى من البرامج والتواصل مع الناس.

ويتحقق ذلك تدريجياً عندما تبدأ برامجه بالارتباط بحاجات المجتمع الواقعية، ويُفتح المجال أمام الكتاب والفنانين والحرفيين والشباب وأصحاب المبادرات بحسب المتاح، بحيث تتحول الفعاليات من نشاط متقطع إلى حضور شبه ثابت، حتى لو كان بسيطاً، يترك أثراً قابلاً للاستمرار مثل حلقة قراءة، أو ورشة تدريب، أو نشاط فني متكرر، أو مبادرة توثيق صغيرة.

يبدأ عمل المركز الثقافي بمعرفة الناس الذين يعيش بينهم.. من يكتب، ومن يرسم، ومن يغني، ومن يمارس الحرف، وما الحكايات والعادات التي تميّز المنطقة، وما المواهب الموجودة بين أطفالها وشبابها، وما القضايا التي تشغل أهلها.. ومن هنا يختار المركز أنشطته، لتكون قريبة من الناس ومتصلة بحياتهم.

لذلك قد تكون الأولوية في منطقة ما تأسيس نادٍ للقراءة، بينما تحتاج منطقة أخرى إلى فرقة مسرحية أو موسيقية، وقد تحتاج بلدة ثالثة إلى توثيق حرفها وروايات كبار السن فيها، فيما تحتاج منطقة أخرى إلى مساحة تفاعلية للأطفال واليافعين.

وعليه تنطلق إستراتيجيتنا من رؤية وطنية جامعة، تستمدّ من الروافد السورية المتنوعة عناصر قوتها وتجدها، وتفعّل الخصوصيات المحلية ضمن مسار يسهم في بناء المشهد الثقافي السوري، فلكل محافظة ذاكرتها وأسئلتها وتعبيراتها الثقافية، وتلتاقى هذه الروافد ضمن مشروع وطني واحد يرثى الانتماء، ويصون التعدد، ويوسّع حضور الثقافة السورية في المجتمع، ويفتح أمامها آفاقاً أكثر حيوية وتفاعلاً.

كيف ترتّبون أولويات إعادة تأهيل

المراكز؟

بدأنا تقييم المراكز الثقافية على مراحل وفق الإمكانيات المتاحة، نظراً إلى وجود نحو 580 منشأة تختلف في حالتها وحاجاتها. ويشمل التقييم وضع البناء والتجهيزات، والكوادر، والإدارة، والبرنامج، ومستوى النشاط، وعلاقة المركز بمجتمعه.

وبناءً على ذلك تُصنّف المراكز حسب درجة الضرر والجاهزية، فبعضها يحتاج إلى صيانة بسيطة، وأخرى تتطلب إعادة تنظيم وتأهيل كوادر، وأخرى تستدعي ترميماً واسعاً قبل التشغيل. وقد عادت بعض المراكز في حمص واللاذقية والرقّة ودير الزور للعمل، فيما يستمر تقييم البقية.

وُحدّد الأولويات أيضاً وفق حاجة المجتمع المحلي، خاصة في المناطق التي تفتقر إلى بدائل ثقافية أو تعاني

تمثّل المراكز الثقافية
العصب التنفيذي
لرؤية وزارة الثقافة
وسياساتها،
والمساحة الأقرب إلى
الناس ضمن عملها؛
فمن خلالها تتحول
التوجهات الثقافية
إلى برامج تصل إلى
المدن والبلدات

كيف تسهم هذه البرامج في تحقيق هدف "تعريف السوريين بالسوريين"؟

يبدأ هذا الهدف من تعريف أبناء كل منطقة بثقافتهم وذاكرتهم المحلية، ثم فتح نوافذ أمامهم للتعرف إلى ثقافات وعادات المناطق السورية الأخرى.

عاش السوريون سنوات طويلة داخل مجال عام احتكر فيه النظام البائد الصورة والرواية، وضيّق فرص التعارف الحقيقي بين المجتمعات، ثم عمقت سنوات القمع والدمار والنزوح والتهجير واللجوء المسافات، ورسخت صوراً خاطئة لدى السوريين بعضهم عن بعض.

وتستطيع المراكز الإسهام في معالجة ذلك من خلال التبادل بين المحافظات، ونقل العروض والفرق والكتب والفنانين والحرفيين من منطقة إلى أخرى، وتنظيم برامج تستضيف فيها كل محافظة جانباً من ثقافة محافظة أخرى.

حين تنتقل تجربة من دير الزور إلى دمشق، أو من إدلب إلى درعا، فإنها تحمل معها ذاكرة المكان وفنونه ولهجته وحكاياته وحرفه، ويعتبر الجمهور من خلالها إلى مجتمع كامل، وليس إلى نشاط منفرد فقط.

وقد يشمل التبادل عرضاً مسرحياً أو موسيقياً، أو معرضاً للفنون والحرف، أو لقاءً مع كُتّاب، أو برنامجاً للأطفال، أو أسبوعاً يعرّف بتراث منطقة وتاريخها.

وفي هذا السياق جاء العمل على قصيدة «سوريا الواحدة»، التي تجمع المحافظات السورية ضمن نص شعري واحد، وتقدم صورةً عن بلد متعدد البيئات واللهجات والذاكرات، يجتمع ضمن انتماء ومستقبل مشتركين.

كيف تنعكس العدالة الثقافية في توزيع البرامج والموارد؟

تعني العدالة الثقافية أن يمتلك السوري فرصة للوصول إلى المعرفة والفنون، والتعبير عن موهبته وثقافته منطقته، بصرف النظر عن مكان إقامته.



كيف يدخل مشروع الأيام التطوعية في عمل المراكز وعلاقتها بالمجتمع؟

ينطلق المشروع من أن الثقافة تشمل علاقة الإنسان بمجتمعه ومسؤوليته تجاهه، لا الفنون فحسب. ويقوم البرنامج على تخصيص اثني عشر يوماً تطوعياً سنوياً، تُنظّم في اليوم الأخير من كل شهر، ويشترك فيها الشباب وأبناء المجتمع في تنفيذ مبادرات ثقافية وتعليمية وصحية وبيئية، تشمل التشجير والنظافة والتبرع بالدم، إلى جانب الورشات والأنشطة الداعمة للمجتمع. كما يتضمن بطاقة متطوع ومنصة وطنية للتسجيل والتوثيق، مع تنسيق مع الجهات المختصة في الصحة والإسعاف وإدارة الكوارث.

ويعمل المركز على جمع المبادرات وتنظيمها وتحويل التطوع إلى ممارسة مستمرة، بما يعزز الثقة بينه وبين المجتمع ويحوّل الشباب من متلقين إلى مشاركين فاعلين.

العلاء المعري في معرة النعمان، فإن الغاية تتجاوز إحياء اسم الشاعر إلى إعادة وصل المدينة بتاريخها الثقافي. وتعمل الإدارة على تطبيق هذه الرؤية في مهرجانات نزار قباني في دمشق، وبدوي الجبل في اللاذقية، ومحمد الفراتي في دير الزور، بما يتيح لكل مدينة أن تقدّم جانباً من ذاكرتها، وتعرّف الأجيال الجديدة بإرثها، وتفتح المجال أمام المواهب المحلية للتفاعل مع تجارب سورية وعربية مختلفة. ولا نريد للمهرجان أن يصل إلى المدينة ثم يغادرها دون أثر؛ إذ ينبغي أن يترك وراءه جمهوراً جديداً، أو موهبة مكتشفة، أو نادياً أدبياً، أو مادة موثقة، أو برنامجاً يتابعه المركز خلال الأشهر التالية.

لذلك نعمل على ربط المهرجانات ببرامج تسبقها وتليها، حتى يصبح كل مهرجان محطة ضمن مسار ثقافي سنوي، لا فعالية منفصلة عن عمل المركز.



ولا تتحقق العدالة بتوزيع العدد نفسه من الفعاليات على المحافظات؛ لأن حاجات المناطق تختلف، وكذلك حجم الضرر الذي أصابها، وتوافر الأبنية والكوادر والبدائل الثقافية فيها.

قد تحتاج منطقة إلى إعادة تشغيل مركز متوقف، بينما تحتاج أخرى إلى مكتبة أو مسرح، وقد تحتاج قرى بعيدة إلى برامج متنقلة تصل إليها بانتظام، وهناك مناطق عانت تهميشاً أو دماراً واسعاً، وتتطلب جهداً أكبر لتضييق الفجوة بينها وبين المدن الأكثر استقراراً.

وتشمل العدالة أيضاً التمثيل؛ بحيث تجد المجتمعات المحلية ثقافتها وذاكرتها ضمن البرنامج الوطني، وتحصل المواهب الموجودة خارج المدن الكبرى على فرصة للظهور والتدريب والدعم.

وتتيح المراكز للوزارة قراءة الحاجات من داخل المجتمعات، وتوجيه البرامج والموارد وفق الحاجة الفعلية، لا وفق القرب من العاصمة أو القدرة على الوصول إلى المؤسسة.

كيف ستقيسون أثر هذه الإستراتيجية ونتائجها؟

يقدم عدد الفعاليات مؤشراً أولياً، لكنه لا يكفي للحكم على النجاح، فقد ينظم مركز عشرات الأنشطة دون أن يبني جمهوراً أو يترك أثراً مستمراً.

لذلك ننظر إلى عدد المراكز التي عادت إلى الخدمة، وانتظام البرامج، وتنوع الجمهور، ومشاركة الأطفال والشباب والنساء، وعدد المواهب التي اكتشفت، والشراكات المحلية، وحجم التبادل بين المحافظات.

ونهتم أيضاً بنوعية الأثر.. هل أدت ورشة إلى تأسيس نادٍ؟ هل ساعد نشاط على حفظ حكاية أو حرفة مهددة بالفقْد؟ هل اكتشف المركز موهبة جديدة وواصل العمل معها؟ هل نشأت علاقة مستمرة بين المركز والمدارس والجامعات؟ وهل وصل البرنامج إلى قرى أو فئات لم تكن تصل إليها الأنشطة سابقاً؟

ومن أهم المؤشرات علاقة المركز بمجتمعه.. هل يعرف حاجات المنطقة؟ هل يشارك أبنائها في بناء

المجتمع المحلي، ثم مراجعة البرامج وفق النتائج. فالقياس بالنسبة إلينا أداة لتطوير العمل، وليس إجراءً إدارياً يضاف بعد انتهاء النشاط.

نريد في النهاية مراكز حاضرة في المدن والبلدات والمناطق البعيدة، تعمل بانتظام، وفقاً لخصوصية المجتمعات المحلية، وتحفظ ذاكرتها، وتكتشف طاقاتها.

نريد أن يدخل السوري إلى المركز فيجد مكاناً يعرف مجتمعه، ويعرف المجتمع أنه يمثل؛ مكاناً يجد فيه الطفل كتاباً أو مسرحاً أو مساحة للرسم، ويجد فيه الشاب فرصة لتطوير فكرته، ويجد الفنان والجُرْفِي والكاتب جمهوراً وشركاء، ويجد كبار السن مساحة لحفظ ما يحملونه من ذاكرة. وعندما يفتح كل مركز نافذة على بقية سوريا، ويعرف الناس بثقافات المناطق الأخرى، يصبح شريكاً في بناء الثقة، وفي إعادة وصل السوريين بعضهم ببعض، وتستعيد الثقافة موقعها في حياة الناس جزءاً من علاقتهم بأنفسهم ومجتمعاتهم وبلدهم.

البرنامج؟ هل عاد الناس إليه؟ وهل يشعرون بأن ما يحدث داخله يمثلهم؟ ويتطلب ذلك توثيق الأنشطة، وجمع الملاحظات، وإجراء تقييمات دورية، والاستماع إلى المشاركين وأبناء

**يعود المركز فعلياً
عندما يستعيد
وظيفته داخل
مجتمعه، لا بمجرد
فتح أبوابه أو
جاهزية مبناه، بل
بقدرته على تشغيل
نشاط منتظم ولو
بإمكانات محدودة**

سوريا.. منها ابتدأت الأبجدية وفيها ينتهي البيان

العربية لو نطقت لقلت: «سوريا موطني الذي اطمأننتُ إليه، وأهلي الذين حفظوا ماء وجهي حين كاد يضيع».

فإذا استمعت إلى لهجة أهل الشام، وجدتْها أقرب للهجات إلى الفصحى عنوبة ورقية، وهل نسيَتْ «سحر البيان» في الدراما السورية؟ تلك اللغة التي أعادت للعربية كبرياءها، وعلمتنا كيف تكونُ الفصحى أداةً تعبير عن أعمق المشاعر الإنسانية، من الحب إلى الألم، ومن الفرح إلى المأساة.

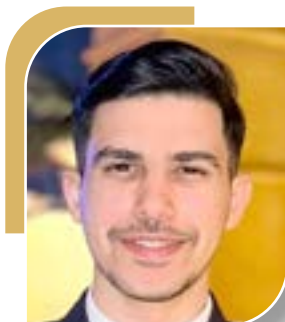
الفن السوري مرآة الروح العربية

وإذا جاوزنا اللغة إلى الفن، وجدنا سوريا هي اليد التي رسمت ملامح الروح العربية.. من ممّا لم يبك مع «الزير سالم»، ولم يتأمل مع نزار قباني حين قال: «دمشق، والهوى لك؟» ومن ممّا لم تهزّه أغاني صباح فخري وهو يصدح بالموشحات الأندلسية، فيشعر أن التاريخ كله يمرّ من حلقه صوتاً عذباً؟

سوريا لم تكن مصدّرة للفن كما تُصدّر البضائع، بل كانت مهديةً للروح العربية مرايا ترى فيها وجهها الحقيقي، وإذا كان الفن مرآة الشعوب، فإن سوريا كانت ولا تزال الصائغ الذي يصفّل هذه المرآة، حتى ترى الأمة وجهها واضحاً جلياً، بجماله وقبحه، بقوته وضعفه، بأحلامه وانكساراته.

الجرح السوري سؤال التعافي والهوية

ولكن، يا ويح نفسي، كيف أكتب عن جمال سوريا وقد مرّت بما مرّت به؟ هنا يقف القلم حائراً على أعتاب سؤال كبير: كيف نتعافى؟ وكيف



أساجة القاسم

كاتب وصحفي سعودي

بليغ عكاظ

دمشق.. أنشئ الدهر التي لا تشيخ

دمشق ليست مدينة، بل هي أنشئ الدهر التي لا تشيخ.. تمشي في أزقتها فتسمع وقع خطوات التاريخ على حجارته، وترى وجه الحاضر يطلّ من شبابيك بيوتها، وتشمّ في هوائها عبق الياسمين ممزجاً برائحة المجد القديم.. هي التي علّمت العرب كيف تُبنى الحضارات، وكيف يُصاغ المجد حجراً وروحاً، وحين ضرب الزلزال سوريا الحديثة، لم تنهّد دمشق؛ لأن المدن التي تسكن الوجدان لا يهدمها حجرٌ ولا حديد، إنما يهدمها النسيان، وسوريا ليست من مدن النسيان.

لغة سوريا عربية كأنما أنزلت من السماء

ولعلك تذكر أن سوريا كانت وما زالت حارسة اللغة العربية؛ فمن دمشق خرجت مجامع اللغة، وفي حلب قامت منابر الشعر، وعلى ضفاف بردي تغتّى الشعراء بأجمل القصائد، ولعل

ما سوريا أيها المثقف العربي؟ أهى بقعة من الأرض تُرسم على الخرائط، أم هي نبض في شرايين الذاكرة، ووترٌ في فيثارة الوجدان، وصفحة من سفر التاريخ لم يجفّ مداده بعد؟

إنك لتسألني عن سوريا، فأقول لك: وكأنك تسألني عن المعنى الذي يلبس الجغرافيا ثوب الروح.. سوريا ليست وطناً للسوريين وحدهم، بل هي وطنٌ للثقافة العربية في أبهى تجلياتها، هي «الشام» التي إذا ذُكرت في مجلس من مجالس الأدباء اهتزّت لها القلوب، كأنما يُفتح بابٌ من أبواب الفردوس على ما مضى لم يمت، وحاضرٍ يتألم، ومستقبلٍ يُرتجى.

الشام في ذاكرة العرب بيت القصيد

أندري لماذا كانت دمشق تُسمّى «بيت القصيد»؟ لأنها قطب الرقعة، ومركز الدائرة، ومنبع النور الذي شغّ على العروبة والإسلام قروناً طوالاً.. من سوريا خرجت جيوش الفتوح، وفيها قامت دولة بني أمية، ومنها انطلقت قوافل العلم والأدب إلى أقطار الأرض. وحين تقرأ في كتب التراث: «حدّثنا فلان الدمشقي»، و«أخبرنا فلان الحمصي»، تعلم أن العلم كان يجري في عروق هذه الأرض كما يجري الماء في جداولها.

ولم تكن سوريا يوماً محطةً في طريق التاريخ، بل كانت الطريق نفسه، والقلب النابض، والعين التي ترى، واللسان الذي ينطق، فإذا تكلم مثقف عربي عن «الشام»، فلا يتكلم عن ذاكرة غائبة، بل عن حاضرٍ منقوش في الوعي، يصل ما كان بما هو كائن، ويمده إلى ما سيكون.



نستعيد الهوية بعد أن كادت تضيع؟ وكيف نعود إلى الحضور الثقافي بعد أن غبنا طويلاً؟

إن الجرح السوري ليس جرح سوريا وحدها، بل هو جرح عربي في الصميم، فعندما تنزف دمشق، ينزف معها كل عربي يحمل في قلبه ذرة من كرامة، وعندما يتهدم بيت في حلب، يتهدم معه ركن من أركان الذاكرة العربية الجمعية.

ولكن، ها هنا السرّ.. إن سوريا قد علمتنا أن الهوية لا تموت. انظر إلى السوريين في شتاتهم، كيف حملوا ثقافتهم في حقائبهم، وكيف زرعوا الياسمين حيثما حلّوا، وكيف ظلّوا يغنون للحياة في وجه الموت.. هذا هو الدرس الأعظم، أن الثقافة ليست ترفاً، بل هي سلاح البقاء، والدواء الذي يداوي جراح الرّوح حين يعجز الطب عن مداواة جراح الجسد.

ماذا تضيف سوريا إلى المجال العربي اليوم؟

إن سوريا، بثقافتها وتجربتها وذاكرتها، تستطيع أن تضيف إلى المجال العربي اليوم ما لا تستطيعه أي دولة أخرى.. تجربة الألم العميق، والنهوض من تحت الرّكام، وإعادة تعريف معنى الوطن. لقد اكتشف السوريون، في محتّهم، أن الوطن ليس مجرد تراب، بل هو فكرة، وإرادة حياة، وذاكرة جماعية لا تموت.

وهذا هو السؤال الذي يجب أن يشغل المثقف العربي.. كيف نبني أوطاناً لا تهدمها الحروب؟ كيف نجعل الثقافة هي الأساس، لا الرديف؟ كيف نحمل الذاكرة من النسيان، والهوية من الذوبان؟

إن التجربة السورية، بكل ما فيها من مأساة وأمل، تقدم إجابات أولية، بالتمسك باللغة، وبالتشبث بالفن، وبالإيمان بأن الحياة أقوى من الموت، وبأن الثقافة هي رئة الأمة التي تتنفس بها حين تضيق الصدور.

سوريا

أفق المستقبل

وإني لأراك تسألني: كيف يرى المثقف العربي سوريا بعد كل ما

وسوريا هي ياسمينة العرب التي لن تموت، لأنها مزروعة في القلب، وسقيها من دموع المحبين، وشمسها من عيون المثقفين الذين يأبون النسيان.

انظر إلى سوريا اليوم، لا كما تراها نشرات الأخبار، بل كما تراها عيون الشعراء، وقلوب العشاق، وضوائر الأحرار.. انظر إليها سؤالاً يبحث عن إجابة، وجرحاً يبحث عن شفاء، ووطناً يبحث عن أبنائه.

وانظر إلى نفسك وأنت تنظر إليها: أأست ترى وجهك في مرآتها؟ أأست تسمع صوتك في صداها؟ أأست تشعر أن جرحها هو جرحك، وأملها هو أملك، ونهضتها هي نهضتك؟

تلك هي سوريا، يا صاحبي.. السؤال والجواب، والجرح والشفاء، الماضي الذي لم يمّت، والمستقبل الذي ينتظر أن يولد، فكن أنت الذاكرة التي تحفظ الماضي حيّاً، وكن أنت الصوت الذي يقول، في زمن الصمت: إن سوريا باقية، ما بقي للعربية لسانٌ ينطق، وللثقافة روحٌ تسري، وللجمال عينٌ ترى.

مرّت به؟ فأقول لك: يراها بعينين، عين تدمع على ما كان، وعين تشرق أملّاً بما سيكون. يراها جرحاً نازفاً، ولكنه جرحٌ يُكتب له أن يلتئم، ووردة ذبلت، ولكن جذورها ما زالت حية في تربة التاريخ.. يراها امتحاناً للروح العربية، فإما أن تنهض جميعاً، وإما أن تبقى تحت الرّكام.

إن سوريا ليست قضية سياسية تُحل في المفاوضات فحسب، بل هي قضية ثقافية ووجودية تمس صميم ما نعنيه حين نقول: «نحن العرب». إنها السؤال الذي يلحّ علينا كل صباح: أين نحن من تاريخنا؟ وماذا سنترك لأبنائنا؟ وكيف نكتب المستقبل بعد أن كاد الماضي يمحى؟

الياسمين لا يموت

دعني أهمس في أذنك همسةً أخيرة.. إن الياسمين الدمشقي لا يموت.. قد يذبل الموسم، وقد تجفّ الأغصان، ولكن الجذور باقية، تنتظر المطر، تنتظر الشمس، تنتظر اليد التي ترويحها.



البنية والإرادة

التاريخ العالمي، شروط البنية المرجوة. وهناك ما هو أعقد مما سبق، ألا وهو الاختلاف الكبير بين سهولة تحطيم البنية المادية الاقتصادية والتقنية والإنتاجية، وصعوبة تحطيم البنى الذهنية التي تكوّنت عبر مئات السنين. فالبنى الذهنية بطيئة التغيّر، بل وعديدة أحياناً، والبنية الذهنية هي جملة المعتقدات والأفكار والعادات والقيم والحياة النفسية التي تكوّنت في بنى اجتماعية-اقتصادية قديمة، وحافظت على وجودها رداً طويلاً من الزمن، وتعبّر عن هذا الوجود في السلوك.

فلقد دلّل علم النفس الاجتماعي والأنثروبولوجيا على أهمية الذهنيات في فهم ممكنات التغيّر والتطوّر في مجتمع من المجتمعات، فالذهنية المتولدة من استمرار المجتمع الفلاحي-القروي، وهي الذهنية التي تقوم على محدودية العمل، والنظرة الفوقية إلى العمل الجزفي، وعلاقات القرابة، والميل إلى المحافظة، وضعف الفردية؛ كلّ هذه السمات الذهنية تقع في تناقض مع الذهنية المدنية، حيث الحرفة والإنتاج والتجارة والسوق، وما يتطلبه ذلك من ذهنية التنظيم والعمل اليدوي، ومكانة رأس المال، والفردية، وضعف رابطة الدم. والذهنيتان تنعكسان، بلا شك، على عمل المؤسسات والنظرة إلى وظيفتها.

فأئّ مؤسسة تقوم على ذهنية رابطة الدم أو المذهب فلا يمكنها أن تقوم بعملها القانوني في الدولة. ويؤسّس على تحليلنا السابق القول الآتي، وهو أقرب إلى البدهة:

أولاً: إنّ المجتمع، أيّ مجتمع، بوصفه بنية، يضمّ مجموعة من البنى المختلفة، وإنّ تناقضات البنى، إذا ما تحوّلت إلى

يتجاهل أهل السياسة، أو الذين قادتهم المصادفة إلى الاشتغال بالسياسة -كما تجهل العقول الخاوية والمتطفلة على الحرف- منطّق التاريخ الواقعي الذي يقول: إنّ البنية، بإرادتها اللاواعية، أقوى بكثير من إرادة الأفراد، وإنّ البنية لا تفنى إلا إذا نمت في أحشائها بذور بنية جديدة وراحت البنية القديمة تعاني سكّرات الموت، وعندها تكون إرادة الأفراد، إذا أحسنت السلوك بدهاء، قادرة على إزالة البنية القديمة، وتعبيد الطريق لولادة البنية الجديدة.

إن إرادة البشر هي القابلة القانونية التي تساعد التاريخ على الولادة حين تكون البنية قابضة في رحمه ووصلت إلى أوان خروجها من الرحم. في المقابل، فإنّ الدفاع عن بنية ينهشها الفناء، والعمل على الاحتفاظ بها بكلّ الوسائل، ضربٌ من الوهم القاتل.

ويخلق الاستعصاء التاريخي المدمّر في تلك المرحلة التي لا تستطيع فيها الإرادة أن تنجز انتصار البنية الجديدة التي ولدت في أحشاء البنية القديمة، بسبب شروط ذاتية وخارجية، من جهة، ولا تستطيع إرادة البنية القديمة إعادة الحياة إلى بنيتها بعد أن تآكلت، من جهة ثانية. فيراوح التاريخ بين عجزين: عجز بنية قديمة عن البقاء كما كانت، أي عجز الإرادة المطابقة لها؛ وعجز البنية الجديدة القائمة في رحم البنية القديمة عن الولادة، وإذا طالت هذه المدة، فإنّ الخراب سينال كلّ صُعْد الحياة، وينتظم العنف في البلاد والعباد.

لا نستطيع أبداً استعارة بنية مجتمع ودولة وشعب لفرضها بالقوة على مجتمع ودولة وشعب آخر، إلا إذا نمت في هذا الأخير، بفعل حركة



د . أحمد برقاوي
فيلسوف ومفكر

**أيّ مؤسسة
تقوم على ذهنية
رابطة الدم
أو المذهب
فلا يمكنها
أن تقوم
بعملها القانوني
في الدولة**



التطور، فإنّ المأزق هو سدّ ضلّب أمام سيرورة التجدّد والتطور.

سابعاً: إذا طبقنا منهج تفكيرنا هذا على سوريا فإن المشكلة الأساسية التي تواجهنا في زوال البنية القديمة هي أن هذه البنية القديمة ذات الهوية العنيفة قد قتلت كل الأجنة التي ولدت في رحم التاريخ منذ نصف قرن، والأجنة هي الممكنات القابلة للتحقق بفعل الإرادة.

وهكذا لقد أورتتنا البنية الأسدية واقعاً تاريخياً شبه عقيم، وهذا ما ولّد أمام الإرادة سؤالاً مهماً: كيف للإرادة أن تخلق ممكنات-أجنة في رحم التاريخ شبه العقيم.

ولا يمكن للتاريخ القديم الذي وصل إلى سن اليأس أن يمد الإرادة بأيّ ممكن لأنه بالأصل ليس سوى جثة.

ومن حسن حظ التاريخ أنه سيرورة عفوية وقانونية، سيرورة لا تكف عن خلق الممكن بفعل عوامل كثيرة متشابهة، وإذا قُيّض للتاريخ إرادة نكية ومبدعة قادرة على اكتشافه، فإن التاريخ هنا يمضي في طريقه نحو التجدد والتجديد.

التاريخ العالمي، شروط البنية المرجوة **خامساً:** إنّ الاعتقاد بأنّ خلق بنى إنتاجية-اقتصادية وتقنية وعلمية، مع الاحتفاظ بذهنية ما قبل هذه البنى، ضرب من الوهم غير محمود النتائج، فكلّ تغير وتطور في الحياة المادية سيخلق الذهنيات المطابقة له، خاصة لدى الأجيال التي تعيش في البنية المادية الجديدة.

سادساً: إنّ من سمات العقلانية السياسية، وعقلانية الفاعلين، رصد التحولات العفوية الموضوعية في البنيتين المادية والذهنية، وما تولّده من حاجات، والتفكير في السبل الكفيلة بتلبية الحاجات الجديدة، بحسب الأهمية والضرورة، وانطلاقاً من جدل الإمكانية والواقع.

فترك البنى لحركتها العفوية، دون تدخل الإرادة التي تمنحها طابعها الواعي في التخطيط ورصد المستقبل، يجعل تطور البنى العفوي خالقاً للأزمات.

وكلّ تراكم للأزمات، دون وجود الحلّ العقلاني والواقعي لها، يمهد الطريق لولادة المأزق، فإذا كانت الأزمة انقطاعاً مؤقتاً في سيرورة

صراع، فهذا يعني أنّ هناك حركة موت وولادة.

ثانياً: إنّ الحفاظ على سلطة بنية واستقرارها عن طريق القوة والعنف سيقود حتماً إلى تشويه حركة التاريخ الطبيعية أو السلمية.

ثالثاً: إنّ أخطر ما تواجهه بنية على وشك الخروج من رحم التاريخ إلى الحياة هو الذهنيات القديمة التي تعبّر عن ذاتها في حركات وفئات منظمة، لتكون سدّاً أمام مجرى نهر الحياة، كالذهنيات الطائفية والذهنيات الأصولية. فخلق ممكنات ولادة البنى الجديدة بالعنف الداخلي أو الخارجي، أو بكليهما معاً، سيخلق ركوداً تاريخياً طويل الأمد؛ لأنّ استعادة الممكنات الموضوعية والذاتية أمر في غاية الصعوبة، وهذا يختلف عن خسارة دولة للحرب، وقد كادت بناها الجديدة تكون، وتجد طريقها إلى الواقع، كألمانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية.

رابعاً: لا نستطيع أبداً استعارة بنية مجتمع ودولة وشعب لرفضها بالقوة على مجتمع ودولة وشعب آخر، إلا إذا نمت في هذا الأخير، بفعل حركة



يقرأ باب «قضية وآراء» العشيرة في المجتمع السوري عبر حضورها في التاريخ والدراما والمُضافة والذاكرة والمرأة، ويتناول علاقتها بالدولة والمواطنة والسلام الأهلي. وتفتح مقالاته زوايا متعددة لفهم أدوارها الثقافية والاجتماعية، والصور النمطية التي أحاطت بها، وإمكان تجديد وظائفها ومساهمتها في بناء سوريا الجديدة، دولة أكثر تنوعاً وعدالة و تماسكاً، ومستقبلاً مشتركاً.



دار الوثائق الشفوية المضافة والتاريخ اليومي المهدور

إنّ المضافة تمثّل (في معنى من معانيها) داراً للوثائق الشفوية، يتصدّرها كبار السنّ والوجهاء وأصحاب التجارب المميّزة بوصفهم أمناء على هذا الرصيد التاريخي.

ففي هذا الفضاء يُسرّد التاريخ قصصاً متّصلةً تبني جسوراً بين الماضي والحاضر، تحفظ من خلالها الأنساب، وتعرض المشكلات، وتُستذكر الحكايات والوقائع المفصّلة التي تمثّل محطات فارقة في مسيرة مجتمع العشيرة.

كما يتكفّل هذا الفضاء بحفظ التفاصيل الإنسانيّة والروحيّة والوجدانيّة من حبّ وزواج وطلاق وولادة وموت وسفر وعودة وحضور وغياب وحرب وسلم وخلاف وصلح.. إلخ، وهي تفاصيل نادرة ما تجد طريقها إلى الورق.

ظاهرة كان ينبغي أن تحاط بأقصى درجات الحفاوة والاهتمام، باعتبارها ثروة يمكن الاستثمار فيها لا على المستوى الثقافيّ فحسب، بل قبل ذلك على مستوى حلّ كثير من المشكلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة المستعصية.

ما حدث أنّ هذه الظاهرة لم تترك لتتطوّر طبيعياً أو صديّاً، فمنذ منتصف القرن الماضي، ومع صعود التيارات المؤدلجة التي تصنّف نفسها قوميّة عروبيّة، أو يساريّة اشتراكيّة، ومع احتكار هذه التيارات للسلطة، تعرّضت العشيرة لممارستين قسريّتين شوّهتا حقيقتها.

تمثّلت الممارسة الأولى في سياسة النفي والتذويب، حيث جرى التعامل معها على أنّها إرث متخلّف يجب القضاء عليه، لصالح مجتمع

في الثقافة العربيّة المعاصرة جرى تبني منهج يبالغ كثيراً في الإغلاء من شأن الأرشيف والوثيقة المكتوبة شرطاً أساسيّاً للاعتراف بصدقّيّة الواقعة التاريخيّة، واعتمادها للبناء عليها فيما بعد. وقد خلق هذا الاتكاء المفرط على المكتوب مفارقة معرفيّة غريبة، لأنّ الثقافة العربيّة في جزء كبير منها، ولقرون طويلة، كانت ثقافة شفاهيّة بامتياز تعتمد على: الرواية، والإسناد، والشعر المحفوظ عن ظهر قلب، والحكاية الشعبيّة التي تتناقلها الألسن.. وما إلى ذلك من أدوات حفظ للوقائع والأحداث والثقافة والتراث.. وقد نتجت عن هذا المنهج المتشدّد مجموعة من الخسارات ما زلنا نعانيها إلى اليوم، أهمّها فقدان السياق الإنسانيّ والمشاعر المصاحبة للأحداث، فضلاً عن التفاصيل الصغيرة التي تحيي المشهد كالملابس، والحرف، والألعاب، والموسيقى الشعبيّة، واللهجات، والأطعمة، والطقوس المصاحبة للمناسبات، وسوى ذلك ممّا يمثّل جوهر حياة أيّ مجتمع.

من هنا تأتي أهقيّة الإضاءة على الظواهر المرتبطة بالحياة اليوميّة، والتي أهملتها السجّلات المدوّنة أو المكتوبة، وعلى رأسها ظاهرة العشائر باعتبارها مؤسّسة اجتماعيّة أسيء فهمها طويلاً وكثيراً لظروف مختلفة سياسيّة واجتماعيّة وثقافيّة.

وفي قلب هذه الظاهرة تبرز المضافة، أو المجلس، أو الديوان، بوصفها مكاناً تتجلّى فيه قيم الكرم والحوار والنصح والمشورة بالطبع، لكنّها تجسّد قبل ذلك الحاضنة الأهمّ للتاريخ اليوميّ المهدور.



إسلام أبو شكير

قاص وروائي سوري

المضافة تستطيع
أن تتحوّل إلى
صالونات فكريّة
مفتوحة ترعى
الحوارات التي
تكرّس مفهومي
المواطنة، والهويّة
الجامعة التي تتسع
للتنوّع، ولا تلغيه





الأمة الواحدة، أو الطبقة الواحدة، أو الكيان الوطني الواحد الذي يصطبغ فيه الجميع بصبغة مشتركة لا تمايز داخلها، ولا تنوع، ولا تعدد.

وجاءت الممارسة الثانية على النقيض تماماً عبر الاستثمار والتوظيف، حيث سعت السلطة إلى توريث العشيرة، وتحويلها إلى أداة لضمان الولاء، من خلال شراء الذمم، والتجنيد السياسي، وبناء الميليشيات، والزمّ بها في معارك تصفية الحسابات، والقضاء على الخصوم. وهو استخدام ينطوي في جوهره على نظرة استعلائية لا تحترم الحالة، ولا ترى في العشيرة ورموزها وتاريخها وجذورها ما يستحق أن ينال أكثر من خطب جوفاء في الإعلام، أو عطايا مادية، أو مناصب شكاكية، توهب لمن يقبل أن يؤدي هذا الدور.

هذا التآرجح الحاد بين التهميش القسري وإنكار أحقية الوجود، وبين التوظيف التبعية، حرم العشيرة عقوداً من بيئة صديقة تمارس فيها دورها الإيجابي الطبيعي، وكانت الضحية الكبرى هي المضافة التي شلّبت

عافيتها الفطرية، وُحِدَت عن وظيفتها الحقيقية.

اليوم، وبعد طي صفحة الأسدية، تبدو الفرصة متاحة كما لم يكن من قبل، لتصحيح هذا التشوّه، والعودة بالعشيرة، وواجهتها -المضافة- إلى الموقع الصحيح والمطلوب.. مؤسسة فاعلة من مؤسسات المجتمع المدني والأهلي، قادرة على أداء أدوار محورية مؤثرة في عملية الإنقاذ والتعافي.

ويأتي في مقدمة هذه الأدوار المطلوبة، المشاركة في عملية ترسيخ السلم الأهلي، وتحقيق العدالة الانتقالية المجتمعية، فالمضافة هي الجسر المؤهل أكثر من سواه (بالنظر إلى التركيبة الاجتماعية القائمة) لعقد المصالحات المحلية، ورأب الصدوع التي خلّفتها سنوات الصراع الطويلة، وإعادة صياغة الثقة بين المكونات السورية. إنّ من المهم أن ننظر مطوّلاً في آداب المضافة وتقاليدها لالتقاط لحظات تصلح لأن تكون أدوات لتجاوز حالة التصدّع، بعيداً عن الأدوات التقليدية الرسمية ذات الطابع البيروقراطي كالمحاكم وإجراءاتها

الطويلة والمعقدة.

يمكن الاستفادة على سبيل المثال من آليات القضاء العشائري القائم على إصلاح ذات البين، وتمتلك المضافة في هذا المجال رصيداً هائلاً من الخبرة والتجربة من خلال دورها التاريخي في حلّ النزاعات اليومية، وتخفيف الاحتقانات. كلّ ذلك طبعاً بما يدعم منظومة العدالة، والقانون المدني، ولا يتصادم معهما.

وعلى الصعيدين السياسي والإداري تمتلك المضافة المقومات الناجحة لتؤدّي دور البرلمان المحلي المصغّر، أو المنتدى التشاوري المفتوح. إنّها البيئة التي تتبلور فيها حاجات السكّان، ويناقش المعنيون هموم الناس بشفاافية وعفوية، لتتحول المضافة بذلك إلى صلة وصل حقيقية ومرنة بين القاعدة الشعبية ومختلف مؤسسات الدولة، بما يضمن إيصال الصوت المجتمعي إلى صناع القرار وتسهيل عملية الإدارة المحلية.

ويبقى الجانب الثقافي بارزاً بجوار تلك الأدوار المقترحة والممكنة، فالمضافة تستطيع أن تتحوّل إلى



صالونات فكرية مفتوحة ترعى الحوارات التي تركز مفهومي المواطنة، والهوية الجامعة التي تتسع للتنوع، ولا تلغيه، فضلاً عن البحث في طرق المحافظة على الموروث الفني والأدبي، وتطويره، وتقديمه للمجتمع والعالم بما هو لائق وجميل ومدهش. كل هذا يبدو متاحاً، غير أنه مشروط بموقف واع تتخذه الدولة، يتجاوز دور الراعي، إلى دور الفاعل والمؤثر. فالدولة مدعوة هنا إلى التخلي عن هواجس الإقصاء، والمبادرة إلى اعتراف عملي ملموس بالحالة العشائرية، والبحث عن الصيغ التي تجعل هذه الحالة قوة دافعة ومحرّكة، لا قوة عائق ومعرّقة. ويتوجب عليها في هذه الحالة التواصل مع رؤساء العشائر، واستشارتهم، وإشراكهم في القرارات التي تتصل بالعشيرة وحياتها وثقافتها على وجه الخصوص، إضافة إلى الشأن العام طبعاً، مع العمل لإشراك شرائح إضافية من المجتمع العشائري في الحوارات داخل المضافات، لاسيما النساء والشباب، بما يُخرج المضافة من عزلتها، ويعطيها مشروعية تمثيلية أكبر.

وفي مقابل هذا الاحتضان ثقة محاذير مصيرية يجب على الدولة الحذر منها:

أولها: تجنّب السقوط في فخّ التوظيف السياسي، والإقلاع كلياً عن التقليد الأحق القائم على شراء الولاءات والمحسوبيات التي فتّت المجتمع سابقاً. وثانيها: المنع المطلق لامتلاك العشيرة أجنحة مسلّحة، أو تحويلها إلى حالة ميلشياوية، إذ يجب أن تظلّ العشيرة كياناً مدنيّاً سلمياً يخضع بالكامل لسيادة الدولة، وحقّها في احتكار السلاح لضمان الأمن. وثالثها: وضع حدود صارمة لآليات التحكيم العشائري، بحيث تقتصر على الصلح المعنوي والمدني، ولا تتعدّى على اختصاص المحاكم الجنائية، ولا على الدستور، لضمان ألا تنشأ سلطة موازية تنافس سلطة القانون الموحد.

وتخلّ بمبدأ خضوع الجميع لضوابط المواطنة.

المطلوب هو الوصول إلى صيغة لا تكون فيها الهوية العشائرية نقيضاً

للمواطنة، ولا تعلو فيها سلطة المضافة على سلطة المؤسسة، بل خلق فضاء مشترك يحمي حالة التنوع، ويحترم الحق في ألا يكون المواطنون نسخاً متطابقة سواء أكانوا أبناء عشائر أم لا.

إنّ احتفاظ العشيرة بذاكرتها، وآدابها، وقيمها الإيجابية، داخل مضافاتها، هو تلوين ثقافي يثري حالة التنوع الوطني، ويُمده بطاقة إضافية لترسيخ مبادئ الوحدة والتماسك والسلم الأهلي. وعلياً ألا ننسى..

لقد كانت المضافة في التاريخ السوري على الدوام خزّاناً شديد الغنى والحيوية لجزء أساسي وكبير من ذاكرة البلاد، ووجدانها، وقيمها. وفناجين القهوة التي كانت تدور داخلها تمثّل: رائحة، ونكهة، وإيقاعاً.. نعم.. لكنّها تمثّل قبل ذلك: تاريخاً خاصاً يختلف عمّا نقرؤه في الورق، وحياة لم يتوقّف عندها السياسيون إلا لمصلحة ضيقة أثت بنا في النهاية إلى كارثة غير مسبوق لا نريد لها أن تتكرّر على الإطلاق.

لقد كانت
المضافة
في التاريخ السوري
على الدوام خزّاناً
شديد الغنى
والحيوية لجزء
أساسي وكبير
من ذاكرة البلاد،
ووجدانها، وقيمها.

فاعلية المرأة في مدينة الرقة ووادي الفرات رؤية ثقافية

الخطاب، أنتجت نسقاً ثقافياً هجيناً، إذ غاب الخطاب العشائري، ليحلّ محله خطاب السلطة، لكنّ الخطاب الأول ظلّ متخفياً، يظهر بين الحين والآخر في الممارسات السياسيّة كالانتخابات النيابيّة تحديداً، وفي الحصول على المكتسبات والمناصب، أو في الممارسات الاجتماعيّة في مسائل الزواج، والمصاهرة، والدفع بالدم.

وكان يظهر جليّاً في الحكايات التي تأتي بها الذاكرة النسائيّة وقت تلك الأحداث، فتظهر فجأة حكايات من أيام النزاع بين شمر وعنزة، أو حكايات عن قوّة حاجم بن مهيد، وقافلته، وعبيده، وكانت تبدو لي حكايات خياليّة أشبه بسير العرب، تركّز فيها الروايات على ثيمات الشجاعة، والكرم، ومواقف النساء وأقوالهنّ، وزيجاتهنّ، إلى أن أعترف بإحدى الشخصيات الحقيقيّة: ابن، أو حفيد، أو بنت لأحد شيوخ العشائر أو الأبطال المذكورين، فأستوثق أنّ ما كان يروى ليس بأضليل أو خرافات، بقدر ما كان جزءاً من تاريخ الرقة، وتاريخ سوريا.

طرأت تغييرات تدريجيّة على البنية الثقافيّة الاجتماعيّة للرقة وما حولها، بسبب التحوّلات السياسيّة الثقافيّة والاجتماعيّة، منذ سبعينيّات القرن العشرين، حتّى المنعطف الأخير الذي ما زال مجتمع الرقة لم يستقرّ إثره بعد الثورة، فحكم داعش، ثمّ قسد ثمّ التسويات الأخيرة، كانت منعطفات قاسية، وفيها طفرات سلبية انتابت مسألة الهويّة، والمنظومة القيميّة لأبناء المنطقة، مثلما يحدث في أيّ بنية اجتماعيّة ثقافيّة تتعرض لهذا الكم والنوع الهائل والغريب من

لا بدّ في الحديث عن موقع المرأة في مجتمع وادي الفرات، وتحديدًا في مدينة الرقة، من أن أشير إلى أنّني أتكلّم عن المنطقة التي أنحدر منها، وعن الزمن الذي عشته فيها، بامتداداته التاريخيّة القريبة، فأحدّد عمّا عايشته أو ورثته، وسمعت من الجدّات والعَمّات والآباء، في الرقة المدينة، داخل السور، وغربه وشرقه، وفي الأرياف القريبة المتمثلة في الضفة الغربيّة لنهر الفرات في منطقتي الشاميّة والكسرة، ثمّ المنصورة، إذ تربطني صلات قرابة، وعشيرة، وصداقة في تلك الجغرافيّات.

مأسسة الحالة العشائريّة

تحدّث هنا عن مجتمع ذي بنية عشائريّة الجذور، كان أقرب إلى الصفاء منه إلى الهُجنة، لكنّ لم ينف ذلك تنوّعه بوجود محدود لإثنيّات أخرى كالأرمن، والشركس، والأكراد، والتركماني، أو وجود بعض عائلات التجار، والجرفيين، من حلب أو ريفها، مثل: تادف، والباب، والسفيرة، وكذلك وجود بعض العائلات من مدن سورية مختلفة لأطبّاء، أو قضاة، أو مسؤولين. كان التعبير عن الهويّة العشائريّة محاطاً بمحظورات سياسيّة قاسية، بسبب رؤية أيديولوجيا البعث السلبيّة للانتماءات العشائريّة، والطبقية، والعائليّة، وازدراءها، ومع ذلك كانت تمارس في منطقتنا بحكم الجذور والتكوين والعرف، لكن بلا تطرف وبلا تسميات واضحة.

إنّ محاولات السلطة الجادّة لمأسسة الحالة العشائريّة (حسب فوكو)، للسيطرة على الناس، وامتلاك



أ. د. شمله العجيلي

أستاذة الأدب العربي الحديث
والدراسات الثقافية
في الجامعة الأمريكية بالأردن

كانت النساء اللواتي
ينحدرن من انتماءات
عشائريّة، ومنهنّ
جدّاتي، يقمن بإدارة
أعمالهنّ الزراعيّة
والتجاريّة، منذ مطلع
القرن العشرين، ولهنّ
موقف في قرارات
التعليم الخاصّة
بأبنائهنّ

المؤثرات، والضغطات، والتغيرات، وتحتاج دراستها إلى مجموعات من الباحثين في علم الاجتماع، والجغرافيا السكانية، والأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم النفس الاجتماعي.

أما بالنسبة إلى أديب أو كاتب أو روائي فيمكنه أن يتحدث عن التحولات برؤية اجتماعية جمالية، وأن يستعين بالنمذجة لتصوير الناس في حياتهم وعلاقاتهم اليومية.

يمكن أن نلاحظ ضعف الدراسات الاجتماعية عن الرقة مدينة وريفاً، وهذا جزء من رؤية تهميش المنطقة التي عاشت فيه خلال عقود ما بعد الاستقلال، إذ ثمة دراسات تعودان إلى ثمانينيات القرن العشرين وتسعينياته، وهما (الرقة وأبعادها الاجتماعية) لصونيا الفزا وبول ويلي دو هوفيل، و(الرقة.. المدينة، والأراضي، والممارسات الاجتماعية) للدكتورة مريم عباس.

أما المقالات التي نجدها منشورة هنا وهناك فهي في معظمها سطحية، أو أنها تتعامل مع المنطقة برؤية استشراقية، أو أيديولوجية، أو رؤية تتبع أهداف بعض المنظمات الدولية، لذا أجدني أعود إلى الأدب، والفنون الشعبية، من الأغاني، والبكائيات أو النعي، والشعر، أو حكايات الجدات ممّا سمعته أو عرفته، أو عايشته من أحداث شخصية، واستعملت بعضه في رواياتي وقصصي.

الأدب بوصفه مرجعاً ثقافياً

نجد بالعودة إلى نصوص الدكتور عبد السلام العجيلي الروائية والقصة أو محاضراته ومقالاته، أنّه على الرغم من اقتحامه التابو (المحظور) السياسي في وقت مبكر، منذ أواخر الأربعينيات، لم يناور على التابو (المحظور) الاجتماعي المتعلق بنساء الرقة تحديداً، فلم يكتب عنهنّ بوصفهنّ حبيبات أو عشيقات، ولم يطلعن على حياتهن السرية، كانت بطلانهنّ مدنيّات (من المدينة)، من حلب، أو دمشق، أو أجنبيّات، أو غريّات كما في (بنت الساحرة) القصة الشهيرة.

وتلك الظاهرة في أدبه، يمكن تفسيرها بأنّه لم يعيش في صباه

في الرقة زمناً طويلاً، إذ قضى مراحل دراسته في حلب، ثمّ دمشق، ثمّ لم يكن موقعه الاجتماعيّ في ذلك السياق يسمح له بالكتابة عن نساء بلده ولو على سبيل الخيال، وهو حينما ذهب إلى بطلاته الأوربيّات تحديداً، انطلق من رؤية ما بعد استعمارية، أقرب ما تكون إلى رؤية (مصطفى سعيد) في (موسم الهجرة إلى الشمال)، وربما لأنّ المرأة في الرقة آنذاك لم تكن وصلت إلى درجة من التعليم والثقافة لتمكّن من المشاركة الجمالية التي يشير إليها في أحد حواراته في «أشياء شخصية»، أي المقاربة من أجل المعرفة: «محور الذكريات الجميلة في أوروبا هو المرأة... لا يستطيع الرجل أن يحصل من الرجل مثله على معرفة وثيقة أو ارتباط غير ارتباط المصلحة الوقتية. وإذا كنت محباً لمعرفة النفس الإنسانية في أعماقها فإنّك لا تجد غير المرأة من يستطيع أن يطلعك على ما تريد... إنّ زيارة متحف، أو حضور مسرحية أو سماع حفلة موسيقية، أو زيارة لقصر تاريخي أو صعود قمة جبل مشرف على مناظر خلابة، كلها تكون في صحبة المرأة غيرها بدونها».

كان الدكتور العجيلي يتعامل مع النساء المحليّات بتبجيل، فهو حين يتحدث عن قريباته في القصص، والمقالات، أو عن المريضات في عيادته، أو عن السيدات المحليّات بعامة، ينتقل إلى مستوى آخر من المعالجة، ففي قصّته (كفن حمود)، التي كتبها عام 1965، يتحدث عن عمته نجمة السيّدة السبعينية، أمّ الشهيد حمود، التي تقدّمت إلى لجنة سيدات أسبوع التسلّح، حاملة «طابة من الحرير الأبيض الشعري الفاخر من ماركة الغزالين»، جاءت بها من الحجاز، لتقدمها لهنّ علّهن يوصلنها إلى فلسطين، ليتمكّن أحد من أن يلق بها عظام ابنها الشهيد في معركة الشجرة 1948، إذ ذهب متطوّعاً، واستشهد، وبقي في العراق، «لا يحتويه قبر ولا يلقّ عظامه كفن»، وتلك كانت حسرتها.

يمكن أن نعود إلى مصادر أخرى للتعرف إلى صورة المرأة في تلك الحياة التي تقتسمها أنماط ثلاثة من

العيش: بدويّة، ونصف بدويّة، وحضرية، وهي الأغاني التي تردّد في السهرات العائليّة، والأعراس، والتي تقدّم صورة للمرأة رزينة، وقويّة، ومتحكّمة، ووفيّة، وحتّى حينما تكون عاشقة لا تصل إلى حدّ التلف، وتبقى متّزنة: «من يوم علمي وعلمك والميل ما جرّيته/ ولا سنّي تبسّم، ولا الغالي سليت».

وتظهر تصرّفات محسوبة وفيها حياء جميل، كما تقول الأغنية المشهورة: «من فوق جسر الرقة/ سلّم عليّ بايده/ ما قدرت أردّ السلام/ خاف يقولون تريده». وفي حين يجعل المخيال الشعبي النساء أشبه بصويحات امرئ القيس:

«إن غرّبت لالحقهنّ، وإن شرّقت يا ويلي/ البيض خذنّ عقلي، والسمر هدنّ حيلي»، تظهر المرأة متمنّعة ورافضة:

«قلتلها روح وياك قالت: لا، لا/ نفسك دنيّة وزاد طبعي أكثر» تشير النصوص أيضاً إلى أهمية الجانب المعنوي والأخلاقيّ في صورة المرأة المثيرة للإعجاب، كما في أحد (الميامر): «لا يعجبك يابها واللوني / دحجّ على ساسها شلون معمر» تمثّل تلك التعبيرات والصور إشارات ثقافيّة دالّة على موقع المرأة، وبعض صفاتها في الرقة، ووادي الفرات بعامة.

مشاهدات وقائعية ونماذج فنية

يمكن القول إنّ النساء اللواتي عرفتهنّ، وعشتُ بينهنّ، وراقبتهنّ طويلاً، مستثمرة سماتهنّ في الكتابة، يتّسمن بالوضوح، والثقة، والجديّة، والمبادرة في تحمّل المسؤولية، والرغبة في تطوير الذات والتعليم. ومن الملاحظ أنّ كثيراتٍ منهنّ امتلكن الحس الساخر في مواجهة تحدّيات الحياة اليومية، أو مواجهتها بالشعر أو الحكايات، والعبر.

يتعامل المجتمع معهنّ باحترام، ولطالما كنّ مصدرّاً للفخر، والحكمة، وهنا لا أصور مجتمعاً مثاليّاً، لكنّ هويّة النساء ذات المرجعية المختلطة: بدويّة، ونصف بدويّة أو ريفيّة (زراعيّة)، وحضرية، حدّدت طبيعة الخطاب



المؤجّه لهنّ، فكانت العلاقة بين المنظومة القيمية السائدة، والأفعال اللواتي يقمن بها علاقة جدلية، فكثيراً ما نسمع رجال العشيرة يكتّون بـ: خوات هذّلة، وخوات عدلة، وخوات قطنة...

يمكن قراءة مظهر المرأة في الرقّة وما حولها حتّى وقت قريب، بوصفه إشارة ثقافية أخرى دالة على تفاعل المرأة مع منظومتها القيمية، فنساء الرقّة اعتدن الاحتشام في المظهر، بلباس تقليديّ عربيّ يتكوّن من طبقتين من الأثواب المسدلة بأقمشة خفيفة، وفوقها سترة طويلة أخرى تعرف بالزبون، ويغطين رؤوسهنّ بالهباري والعصبة.

وربّما تخلّت النساء الأكثر حداثة عن ذلك اللباس، لكنهن بقين يضعن عباءة الحبر السوداء التي تغطي الرأس وكامل الجسد، والتي ما زلنا نستعملها، على الرغم من ظهور أشكال العباءات الأخرى الخليجية أو الأردنية التي تلبسها نساء المدن السورية الأخرى، وظهر بها بعضهنّ بعد استقرارهنّ في الرقّة، في حين فضّلت أخريات العباءة الرقّية التقليدية.

تقوم النساء بواجباتهنّ الدينية بلا ادّعاء أو أيديولوجيا تقودهنّ إلى المبالغة، ولم يظهر أيّ مظهر من التطرّف على حياة الناس في الرقّة، وعلى التعامل مع المرأة تحديداً، منذ سكن العشائر في المدينة إلى احتلالها الدرامي من قبل الجماعات المتطرّفة. فالصلاة، والصيام، وممارسة العبادات اليومية والموسمية لم تكن ظواهر تستدعي النقد.

وكان لدى النساء طقوس دينية موروثة تتعلّق بالتكوين العشائريّ المتعلّق بالنسب إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلّم، إذ بعض عشائر الرقّة من السادة (سلالة الحسين بن عليّ رضي الله عنه)، وهمّ يعتزّزون بذلك النسب، ويحاولون أن يكونوا على قدر مسؤوليته باتّباع مكارم الأخلاق في الكرم، وإغاثة الملهوف، وتقديم المساعدات للمحتاجين.

كما أنّ نساء الرقّة كريمات وأياديهنّ بيض على الفقير، والمحتاج، وابن السبيل، وكما في كلّ بيئة

طقسية، يتبرّكن بالأولياء، وشهداء الإسلام الذين يرقدون في ضرائحهم حول سور المدينة، من غير رؤية أيديولوجية يؤظّرها أيّ خطاب مفتعل، ولعلّ مزار أويس القرنيّ رضي الله عنه كان مقصد الزيارة الأسبوعية لنساء الرقّة، وذكره يجري على ألسنتهنّ، في القسم أو الدعاء، ولم أسمع الرجال يفعلون ذلك.

مفتاح المضافة بيد الجدة

كانت النساء اللواتي ينحدرن من انتماءات عشائرية، ومنهنّ جدّاتي، يقمن بإدارة أعمالهنّ الزراعية والتجارية، منذ مطلع القرن العشرين، ولهنّ موقف في قرارات التعليم الخاصة بأبنائهنّ، ولهنّ ملاءة مالية خاصّة من الإرث أو الزراعة، فجذّتي المباشرة مثلاً أصرت على أن ترسل أبي للدراسة في أمريكا منذ الخمسينيات.

وكان للمرأة مواقف سياسية، وممارسات وطنية منذ أيام الاستعمارين الإنكليزيّ والفرنسيّ،

وتروى العديد من الحكايات عن شخصيات نسائية أسهمت في إخفاء أسلحة المقاومة، أو المقاومين أنفسهم عن أعين المستعمر وأذّره، أو قدّمن الطعام، أو تبرّعن بذهبهنّ وأموالهنّ لتسليح المجاهدين في فلسطين. وهنا يجب أن نتذكّر أنّ الرقّة كانت مركزاً لأوّل حكومة عربية فيصليّة عام 1921. وعلى الرغم من أنّ المضافات أو الدواوين القائمة في الأحياء التي تتجمّع فيها العشيرة، أو البيوت الكبرى، هي من مسؤوليات الرجال، أتذكّر من طفولتي أنّ مفتاح ديوان عائليّ وهو من أشهر دواوين الرقّة وأقدمها، ويعود إلى القرن التاسع عشر، كان بيد الجدة لطفيّة العجيلي، والدة السيّد أحمد العلي العجيلي، الذي يدير شؤون المضافة، رحمهما الله. وبيتها يشترك مع المضافة بجدار، كانت تنام والمفتاح تحت وسادتها، لتتأكّد أنّ أحداً لن يعبث بالمكان من جهة، ولتكون جاهزة في حال أقبل طارق أو ضيف في الليل، أو حدث أيّ طارئ يستدعي تجمّع العائلة.



كانت نساء العائلة تغشى المضافة، المخصصة طبعاً للرجال، في بعض الأحوال، بعفوية وبلا حرج، في الأفراح والمآتم، وفي مواسم الانتخابات البلدية أو النيابية، حين لا يكون ثمة غرباء من خارج العائلة أو (العشيرة).

اشتغلت في رواياتي، وتحديدًا في (سما قريية من بيتنا)، و(صيف مع العدو) على هذه النماذج النسائية التي عرفت عن قرب، وعشت بينها، وكنت أراقبها منذ طفولتي، وأعجب كما ذكرت بوضوحها، وبلغتها، وبخطابها العام، وبالحرية الفطرية اللواتي حافظن عليها.

وكانت تلفتني أشكال الوشم التقليدي الأخضر على الجلود البيض أو الشمر، وطريقة لف التبغ بالورق الرقيق الذي احتفظن به في محافظ معدنية فضية في جيوبهن الداخلية، والصرر التي تلقيها بعضهن مملوءة بخواتم العقيق، أو مسابيح الفيروز، وحجر الكهرز، وغيرها من حاجات للتجارة أتت بها إحداهن من رحلتها إلى الحجاز.

يذكر الدكتور عبد السلام العجيلي أنّ المستشرق الفرنسي الكبير جاك بيرك، الذي زاره في الرقة في ثمانينيات القرن العشرين، وقف مندهشاً يرنو إلى سيّدة تمشي في السوق، بلباسها العربي التقليدي، قادمة من الريف القريب، وتضع على رأسها قدر اللبن لتبيعه، تُسنده بيد، وتمسك سيجارتها بيدها الأخرى، منطلقة لتنجز مهامها قبل العصر، وتعود إلى بيتها.. قال بيرك: إنك لن تجد حتى في باريس نساء بتلك الثقة والقوة!

أدوار جديدة لحقبة جديدة

استمرّت النساء بتوسيع أدوارهن الاجتماعية، وتطوير إمكاناتهن في مرحلة الحداثة، مع انفتاح المجتمع، وخضوعه للتغيرات الديموغرافية منذ بناء سدّ الفرات، وتحول الموظفين والعمّال من أنحاء سوريا كافة، ومن الدول الاشتراكية إلى الرقة، والطبقة، والريف المحيط، حيث مشروعات حوض الفرات الكبيرة، وقد أثر ذلك

في التنمية، ويُشركن في اتخاذ القرار، ويمثلن الرقة بشكل لائق بعد التحرير. لقد نمذجت شخصياتي النسائية لتعبّر بشكل جمالي عن نساء الرقة، وآلامهنّ وأحلامهنّ، وعن موقعهنّ في السياق الثقافي الاجتماعي منذ لحظة تفكك الدولة العثمانية إلى لحظة انهيار المدينة.

بطلاتي عبرن عن لحظة الصفاء التاريخية، وعبرن أكثر عن الهجنة في مجتمع الحداثة، وقد أطلعت المتلقين على قصص الحب والنجاح والإخفاق، والعلاقة بالوطن، والهجرة، والشتات، وذلك من منظور ثقافي نسوي، بحسب رؤيتي الخاصة للنسوة.

تعلمت كثيراً من أولئك النساء، وكنّ محور أعمال الروائية. لا شكّ في أنّنا لم نكن نعيش في يوتوبيا، وكانت هناك نماذج شاذة في عرف المجتمع، لكنها ليست كثيرة، ولعلها كانت تحتاج إلى فهم أوسع، وليس إلى انتقادات أو تصنيفات أخلاقية، لذلك استعرتها أيضاً بمحبّة، لتكون نماذج جمالية في رواياتي.

تراكمياً في طبيعة الحياة بالرقة، كما أنّ انتشار المدارس والتعليم المتقدّم مكّن النساء من تحصيل الشهادات الجامعية في الاختصاصات كلّها. استقبلت الرقة وافدين من كلّ مكان، للعمل، والبحث عن سبل العيش، وكانت المدينة كما سمّاها الشاعر الشعبي الأستاذ شلاش الحسن رحمه الله (أمّ الغريب).

شاركت النساء بفاعلية في الحياة السياسية، ومع تعرّض المدينة لمأسيتها الأخيرة، خرجت النساء بأبنائهنّ إلى مناطق قريبة أو بعيدة، أكثر أماناً لإكمال التعليم، واستشهدت نساء كثيرات بالقصف على المدينة، واحتملت الناجيات الأهوال: التشرد، ومغادرة البيوت، وفراق الأحبة، إذ تشبّطت العائلات، فبقي الرجال يحرسون البيوت من السلب والتوطين، وغادرت النساء ليستمر الأبناء في تلقي التعليم، أو للهروب بهم من بطش التطرّف والإرهاب. وكان من المؤمل أن النساء اللواتي شاركن في الثورة يتمكنّ من تحقيق مطالبهنّ

الدور الثقافي والاجتماعي للعشائرية في بناء سوريا الجديدة

فحسب، بل إن أبناء المدن هم، في حقيقة تكوينهم، أبناء مجتمعات عشائرية أيضاً، بعضها تمدّن منذ قرون، وضُغف لديه الانتماء العشائري، لكنه بات، في المقابل، ضمن تشكيلة جديدة تحمل العصبية ذاتها، اسمها «العائلة» أو «الأسرة».

وهكذا بتنا أمام بيوتات معروفة تمثّل مجتمعات أصغر من العشيرة، لكنها تحمل كثيراً من جوانب ثقافتها وانحيازاتها الكامنة.

ومن المهم كذلك أن نفهم اليوم أن الثقافة العشائرية في سوريا، كأى ثقافة اجتماعية، هي عبارة عن مركّب قائم بذاته، وليست مجموعة بسيطة مؤلفة من أجزاء متفرقة؛ فالعادات والتقاليد والأعراف والقواعد والقيم والهويّة والأفكار المشتركة لا يمكن دراستها في سياقات منفصلة، بل إن هذه العناصر مجتمعة هي التي تنتج الثقافة الاجتماعية، أو العشائرية في معرض مقالنا هذا.

**والسؤال المهم هو:
كيف لنا أن نُبرز الدور الثقافي والاجتماعي لمجتمع العشيرة في بناء سوريا المستقبل؟**

إن الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى عمل دؤوب من الحكومة أولاً، من خلال تعميق الأبحاث والدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية ودعمها، لفهم طبيعة المجتمعات المحلية، ومنها المجتمعات العشائرية بطبيعة الحال، والتي تعدّ الدّعامّة الفعلية للمجتمع السوري بمخّلف أطيافه وطوائفه ومناطقه ومعتقداته.

عندما يكون الحديث عن بناء سوريا الجديدة، يجدر بنا أن نركز، قبل كل شيء، على بناء الإنسان السوري، فهو اللبنة الأساسية في بناء المجتمع. ولبناء الإنسان السوري، ينبغي أن يكون توجّه الدولة منصباً على تمكينه من وسائل المعرفة، فدون معرفة لن تكون هناك تنمية، ولن يكون هناك بناء أو اقتصاد.

من هنا تبرز أهمية أن يتعرّف السوريون إلى بعضهم، وأن تزول جميع مظاهر الصور النمطية التي كانت تسيطر على المجتمع، ومن أبرزها صورة «العشيرة»، التي طالما جرى تنميطها في صور سلبية، خاصة في عهد النظام البائد.

فالعشيرة وابن العشيرة في الدراما السورية كانا يُقدّمان ضمن صورة مركبة تحمل عناوين متعددة، مثل: التخلف، والعصبية، والسّذاجة، وغيرها من الصفات السّلبية في الغالب، رغم ندرة الاحتفاء أصلاً بإبراز مجتمع العشيرة والتعريف به كما ينبغي.

ولم يكن ذلك بسبب ندرة الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية التي تناولت مجتمع العشيرة وثقافته فحسب، بل كان هناك أيضاً بُعد سياسي كامن في سياسات النظام الإقصائية تُجاه مجتمع العشيرة، إذ عمل على تفكيكه وتخريبه من الداخل، لكي يطوّعه لصالحه، ويضمن ألاّ يمثّل خطراً عليه.

والحقيقة التي لا مناص من ذكرها هي أن العشيرة جزء من تكوين المجتمعات العربية، فالانتماءات العشائرية لا تقتصر على أبناء الأرياف



مهند الكاطع
باحث في التاريخ الاجتماعي
والسياسي السوري

**أبرز ما يمكن العمل
عليه في المرحلة
القادمة هو أن يتقبل
جميع السوريين
بعضهم، وأن
ينفتحوا على ثقافات
مجتمعاتهم التي
تمثّل، بمجملها
وبصورة مجتمعة،
هويّتهم الجامعة**



ورغم التمايزات التي يمكن أن توجد بين تلك المجتمعات العشائرية، فإنها تتميز بجملة من الصفات المشتركة، أبرزها طابع «التغالب»، بلغة علي الوردي؛ أي رغبة الفرد في العشيرة في أن يغلب بعصبيته القبلية، ومحاولة إبرازها والتغني بشجاعتها ومكانتها وتاريخها، وغير ذلك من مظاهر الاعتزاز بالانتماء العشائري. ورغم هذا كله، هناك مبالغة أحياناً في تصوير دور القبيلة، أو توهم أن هذا المجتمع العشائري يمكن له أن يؤدي أدواراً تتجاوز ثقافته وخصوصيته الاجتماعية إلى دور سياسي حقيقي ومنتظم، ومؤثر بصورة دائمة في سياق الأحداث السياسية، وهذا التصور، برأيي، تصور خاطئ لا يأخذ بعين الاعتبار المراحل التي مرت بها القبيلة، ومدى تأثيرها بالانفتاح الإعلامي على العالم بأسره.

فلم يعد شيخ القبيلة اليوم إلا رمزية اجتماعية، لا تستطيع في معظم الحالات تحريك الجموع وقيادتها أو التأثير في آراء أفراد عشيرتها سياسياً، كما كان يحدث قبل سبعين سنة. لكنه، في المقابل، يمكن أن يأخذ دور القائد والبطل والمحرك في حال وقوع أحداث جسيمة تحرك الوعي الشعبي، ويكون المجتمع عندها جاهزاً للتحرك في اتجاه يغلب عليه طابع النجدة، لمواجهة خطر جسيم يهدد الجميع، ويحدث ذلك عادة ضمن سياق متناسق مع غطاء سياسي رسمي مساند لمثل هذا التحرك، ومنسجم مع هذا الوعي الشعبي.

ونستحضر في هذا السياق «الفزعة» العشائرية، التي حركت مئات الآلاف من السوريين تحت هذا العنوان لنصرة الدولة الوليدة، عندما شعروا بأن هناك خطراً يهدد كيان الدولة، وكل ما حققه الشعب السوري من إنجازات وانتصارات على نظام الاستبداد. وربما يؤدي عدم الانضباط الكافي من جانب بعض أفراد العشيرة، في تحركات كبيرة من هذا النوع، إلى تشويه الصورة الحقيقية لدوافعها، التي غالباً ما ترتبط بمفاهيم نبيلة مثل النجدة، والإغاثة، والمرءة، والشرف، وهي القيم التي تغلب على المشهد.

من خلال أدوات النظام وأساليبه وإعلامه الموجه.

إن العشيرة يمكن أن تكون ركناً مندمجاً وبعامة اجتماعية مساهمة في البناء والمستقبل، وكلما ازدادت قوة مؤسسات الدولة وسلطاتها التشريعية والتنفيذية والقضائية، خفّ التعصب السلبي للعشيرة، وتراجع اعتبارها المظلة الأهم، لمصلحة مظلة الدولة الشاملة.

ومن هنا أقول إن مسؤولية الاستثمار في جميع الثقافات الاجتماعية، وعلى رأسها الثقافة العشائرية، هي مسؤولية مشتركة تقع على عاتق السياسات الحكومية والمجتمعات المحلية معاً. ويجب أن يكون هدفاً الأسمى خلال العقود القادمة هو تكريس الانتماء الوطني الجامع، وتعزيز الشعور بأننا شعب وأمة تربطنا مصالح وأهداف وآمال مشتركة، وأن يكون الولاء لعلم واحد وتراب واحد.

كما ينبغي ألا ننظر إلى تنوعنا الثقافي والديني والطائفي والعشائري إلا بوصفه حالة فطرية في المجتمعات البشرية، وآية من آيات الله في خلقه، ومصدراً من مصادر القوة لا الضعف.

لكن التركيز على الممارسات التي تنشأ عن تلك القيم والمفاهيم، واستغلالها وتضخيمها من طرف الجهات التي تريد استثمارها سياسياً، يؤدي إلى تشويه المشهد العام، وإخفاء الدوافع الحقيقية وراء تلك التحركات. من هنا أرى أن أبرز ما يمكن العمل عليه في المرحلة القادمة هو أن يتقبل بعض السوريين بعضاً، وأن يفتحوا على ثقافات مجتمعاتهم التي تمثل، بمجملها وبصورة مجتمعة، هويتهم الجامعة.

وينبغي، في هذا الإطار، النظر بصورة أكثر إيجابية إلى العشائر، وأن نعي بأن ابن العشيرة، الذي كان تقييمه فيما سبق يجري من خلال الصور الجاهزة المبنية على لباسه التقليدي أو لهجته، هو في حقيقة الأمر طبيب، وكاتب، ومهندس، وشاعر، وسياسي، ووزير، وقائد.

ومحاولة التشويش على هذه الحقيقة لا تعني أنها غير موجودة، بل هي حقيقة يمكن اليوم أن نلتمسها ونراها في كل مفصل من مفاصل سوريا الجديدة. وهي حالة صحية يجب تقبلها، بعيداً عن الصور المغلوطة والمشوهة التي جرى ترسيخها سابقاً

العشيرة وسؤال التاريخ: من سرديّة القبيلة إلى سرديّة الدولة

فلا بدّ من فحص دقيق لتاريخ العشيرة عبر الأزمنة، والنظر إلى الوظائف التي أدّتها، ومعرفة مدى قدرتها على مواكبة التطور بما ينسجم مع حاجات المجتمع مع مراعاة الثبات على أصل رسالتها الإنسانية. ومن هذا المنطلق يطرح هذا المقال سؤالاً بسيطاً ولكنه عميق الأثر، ألا وهو،

كيف انتقلت العشيرة من كونها الإطار الجامع للمجتمع إلى أن أصبحت جزءاً من مجتمع أوسع تقوّده دولة مركزية؟

في الأزمنة التي غاب فيها السلطان الجامع، كانت العشيرة تمثل ضرورة فرضتها طبيعة الحياة الصحراوية، فكانت العشيرة تحمي أفرادها، وتجبر من يطلب جوارها، وتفصل في النزاعات، وتحل الخصومات، وتحمل عن أبنائها الدّيات، وتحفظ الأنساب وتوصون الذاكرة، وتعين أبنائها على نوائب الدهر.

ولهذا ارتبط اسم العشيرة في الوعي العربي بالحماية قبل أي معنى آخر، فهذه الوظائف وغيرها والتي هي منوطة بالدولة كانت العشيرة تؤدّيها حين تغيب الدولة الجامعة والمانعة التي تحمي رعاياها من الجور، وتضبط علاقاتهم. وهذا ما عبّر عنه شاعر الحماسة حين قال:

لو كُنْتُ مِنْ مَازِنٍ لَمْ تَسْتَبِخْ إِلَيَّ
بَنُو اللَّيْظَةِ مِنْ دُهْلِ بَنِ شَيْبَانَا

فالشاعر هنا يعبر عن فقد أسمى معاني العشيرة وهي الحماية والاحتواء تحت مظلة الجماعة وفقد الانتماء إلى عشيرة مانعة.

حين يعمد المؤرّخ إلى دراسة التاريخ الاجتماعي للمجتمعات العربية، فإن ثمة ركائز معينة يستند إليها لفهم بُنية هذه المجتمعات. فالعشيرة العربية لا تمثل مجرد رابطة نسبٍ ودمٍ فحسب، وليست أيضاً مجرد تجمّع اجتماعي في بيئة مُعيّنة، وهي ليست مجرد شجرة أنسابٍ تمتدّ عبر القرون الطوال، بل هي أكثر من ذلك كله.

فهي عبارة عن مؤسسة اجتماعية كبرى حمت الإنسان وصانت كرامته ونظّمت له حياته وحفظت له نسبه وحرسّت ذاكرته وأظهرت له معالم هويّته الإنسانية، في مرحلة لم تكن فيها الدولة المركزية بالمفهوم الحديث قد ولدت بعد، فلم تكن هناك دولة جامعة، ولا سلطان مانع.

ومن هنا، فإن الهدف من دراسة العشيرة هو ليس للدفاع عنها، ولا بغرض إدانتها، بل هو لأجل إنصافها من خلال قراءتها ضمن سياقها التاريخي وفهم الوظائف التي أدّتها والنظر في موقعها بعد قيام الدولة الحديثة.

فالعشيرة في العقود السابقة قد قرئت من زاويتين متناقضتين، فهناك من جعلها أصل كل أزمة اجتماعية وسياسية، وهناك من جعلها النموذج الأفضل للدولة المعاصرة.

وبحسب تخصصي في التاريخ، فإنني أرى أنّ كلتا القراءتين تبتعد عن القراءة الحضارية للعشيرة.

فالعشيرة لا يمكن قراءتها في زمان محدد لتُسقط هذه القراءة على كل العصور التي مرت بها، لأن هذه القراءة تكون بذلك انتقائية ناقصة.



د . أيمن يزبك

أستاذ التاريخ الإسلامي

العشيرة العربية لا تمثل مجرد رابطة نسبٍ ودمٍ فحسب، وليست أيضاً مجرد تجمّع اجتماعي في بيئة مُعيّنة، وهي ليست مجرد شجرة أنسابٍ تمتدّ عبر القرون الطوال، بل هي أكثر من ذلك كله.



ولم تكن العشيرة للحماية فحسب، بل كانت مدرسة للقيم الأصيلة والأخلاق الرفيعة، فأبناء العشيرة ينشؤون على قيم الشجاعة والكرم والنبيل والمروءة والوفاء وصيانة الجار وحفظ العهد، وغير ذلك من الأخلاق التي امتاز بها الإنسان العربي. ويكفيها في هذا المقام قول عنتر بن شداد:

وَأَغْضُ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي
حَتَّى يَوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

فهذا البيت ليس بيت غزل ولا تفاخر، بل هو تعبير عن خلق اجتماعي رفيع أصبح جزءاً من صورة الفارس العربي.

وكانت العشيرة تغرس هذه المنظومة الأخلاقية في نفوس أفرادها جيلاً بعد جيل.

لكن هذه الصورة المشرفة لا تمثل المشهد الوحيد للعشيرة العربية، فثمة خطر تحمله العشيرة في داخلها يتمثل في احتمالية تحول الولاء إلى عصبية عمياء تجعل من الفرد يتبع عشيرته في الحق والباطل، ويُسْتَبْعَدُ الْعُقْلَاءُ من المشهد ويعلو فيه صوت الانتماء إلى العشيرة دون النظر إلى مآلات الأمور.

ويعبّر دريد بن الصمة عن هذا الخطر إذ يقول:

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَرِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ
غَوِيَتْ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَرِيَّةٌ أَرُشِدْ

فهذا البيت يصور مشكلة اجتماعية بقيت عصوراً طويلة تتجسد في أن الإنسان قد يقدم الانتماء على الحقيقة، والجماعة على العدل، والرأي على المصلحة العامة.

وهنا يُصَبِّحُ الولاء غايةً في ذاته لا وسيلةً لخدمة الحق، ويغدو الفرد أسيراً لرأي جماعته.

وقد جاء الإسلام ليزيل هذا الخطر وذلك بنقل هذا الولاء من الولاء للمخلوق -أيّاً كان أفراداً أو عشائر- إلى الولاء لله وحده. فأصبح الولاء بذلك لشريعة الله التي استظلت تحتها عموم القبائل.

الأمن والحماية من اختصاص السلطة، كما غدا تنظيم الحقوق والواجبات من أولويات البرلمان الجامع.

وهذا الانتقال للأدوار هو تطور طبيعي في مسيرة العمران البشري، وهذا لا يعني أن الروابط العائلية والعشائرية قد فقدت قيمتها الحضارية، ولكنها لم تعد هي المرجعية العليا للأفراد.

وهنا يظهر السؤال الذي يواجه المجتمعات في وقتنا الراهن: ما الدور الذي يمكن أن تؤديه العشيرة في عصر الدولة الحديثة؟

والجواب لا يكون بالغائها، أو تجميدها، ولا يكون بإعادتها إلى وظائف قد تجاوزها التاريخ.

كما أن الوفاء للعشيرة لا يعني أن تنافس الدولة في القضاء أو الأمن أو إدارة الشأن العام، وإنما أن تحافظ على أفضل ما ورثته من قيم وأن تضع هذه القيم في خدمة المجتمع كله.

فالعشيرة تستطيع أن تكون مدرسة لتأصيل التكافل وصلة الرحم

فلم يعد النسب معياراً للتفاضل، وإنما حلت محله التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ}.

فالقُرآن لم ينكر وجود القبائل، ولم يُلغِ دورها الاجتماعي بل رَسَخَ مبدأ التكامل بين الناس

وقد جَسَّدَتْ صحيفة المدينة هذا المبدأ؛ إذ نظمت العلاقة بين مكونات المجتمع على اختلافها، وجعلت للجميع حقوقاً وواجبات مع احتفاظ كل قبيلة بخصوصيّتها.

وقد انتقلت العشيرة بهذه الصحيفة بوصفها الإطار الأعلى للمجتمع إلى رُكْنٍ مِنْ أركانِهِ تحكّمه مرجعية عامة موحدة سماوية في مصدريّتها. ومع تطور الدولة في الأزمنة الحديثة انتقل كثيرٌ من المهام التي كانت العشيرة تقوم بها لتصبح على عاتق الدولة ومؤسساتها، فأصبح القضاء من مسؤوليّة المحاكم، وصار



والوفاء والتكافل، لكن التاريخ يعلمنا أيضاً أن المؤسسات لا تقاس أهميتها بما قدمته في الماضي، وإنما بمدى قدرتها على تجديد رسالتها في الحاضر. فالانتقال من سردية القبيلة إلى سردية الدولة لا يعني القطيعة عن الجذور، بل تحويل هذه القيم إلى قيم عامة يعيشها جميع الناس في ظل الدولة.

فالدولة لا تلغي العشيرة، والعشيرة لا تغني عن الدولة، ولكن يكمل كل منهما الآخر، فقد قدمت العشيرة رسالتها حين حمت الإنسان من الفوضى، وستبلغ ذروة رسالتها حين تسهم في ترسيخ النظام وتعزيز المواطنة وبناء مجتمع يجعل العدالة فوق العصبية، فالمصلحة العامة أوسع من كل انتماء.

وهنا لا تكون العشيرة عبارة عن بقايا من الماضي أو منافس للدولة، بل تصبح بمنزلة رصيد اجتماعي وأخلاقي يرفد المجتمع تحت ظل دولة تشاركية حديثة.

حفظت الإنسان في زمن غياب الدولة، وأسهمت في ترسيخ قيم المروءة

**الدولة لا تلغي
العشيرة،
والعشيرة لا تغني
عن الدولة،
ولكن يكمل كل
منهما الآخر، فقد
قدمت العشيرة
رسالتها حين
حمت الإنسان
من الفوضى**

والإصلاح بين الناس ورعاية المحتاجين وتشجيع التعليم وحفظ التراث المحلي ودعم المبادرات الاجتماعية. وهذه الأمور تؤدي دوراً لا يستهان به في المجتمع وتؤثر في تماسك بنيته دون أن تزامم العشيرة الدولة في اختصاصاتها.

أما حين تتحول العصبية إلى وسيلة لتقديم القرابة على الكفاءة، أو الولاء الخاص على سيادة القانون، أو حماية المخطئ لمجرد انتمائه، ويُفقد الولاء على الكفاءات، فإنها بذلك تفقد رسالتها التاريخية، وتتحوّل من عنصر استقرار إلى سبب للانقسام ثم الانهيار. وهنا يكون النقد موجّهاً إلى الممارسات التي تخرجه عن وظيفته، وتضعه في مواجهة الدولة بدلاً من أن تكون شريكاً في استقراره، وتحقيق العقد الاجتماعي التشاركي.

في المحصلة يمكننا القول إن العشيرة تمثل صفحة رائعة في تاريخ الأمة العربية لدرجة أنه لا يمكن فهم الأحداث التاريخية دونها، فقد

تمثيل الفرات بعدنيته وعشائريته في الدراما التلفزيونية السورية.. بناء الشخصية وإنتاج المعنى

من هذه الزاوية، أعود إلى أربعة أعمال جعلت الفضاء الفراتي مجالاً رئيساً لأحداثها: «الوسيط» عام 1978، من تأليف لؤي عيادة وإخراج هيثم حقي، و«الحيار» عام 1988، من تأليف لؤي عيادة وإخراج سمير سلموني، و«النهر سلطان» عام 1988، المقتبس من قصة لعبد السلام العجيلي، بإخراج لطفي لطفي، و«الغريب والنهر» عام 1996، من تأليف عمار مصارع وإخراج هشام شربتجي.

وقد اختيرت هذه الأعمال لأنها من أبرز الأعمال التي اتخذت الفرات مجالاً مباشراً للسرد، ولأنّ امتدادها الزمني من عام 1978 إلى عام 1996 يتيح رصد ما استمر وما تغير في بناء الشخصية الفراتية خلال ما يقارب عقدين.

ظل حضور الفضاء الفراتي والجزيرة السورية محدوداً مقارنة بحضور دمشق والبيئة الشامية وبعض البيئات السورية الأخرى، ولذلك حملت الأعمال القليلة التي تناولتهما عبئاً تمثيلاً يفوق حدودها الفنية المباشرة، فعندما تتكرر مدينة أو منطقة في عشرات الأعمال، تتعدد شخصياتها ومهنها وطبقاتها وصراعاتها، ولا تستطيع شخصية واحدة احتكار صورتها. أما حين لا تظهر المنطقة إلا في أعمال معدودة، فإن كل شخصية تصبح أكثر قابلية لأن تتحول، في ذهن المشاهد، إلى نموذج عام.

ولا تقدم الأعمال الأربعة رؤية واحدة، لكنها تكشف، عند مقارنتها، عن انتظام مجموعة من العلامات التي عرّفت الشخصية الفراتية من خلالها، مع اختلاف وظيفة هذه العلامات وموقعها في كل عمل.

حضر الفرات في الدراما التلفزيونية السورية بملامح يسهل التعرف إليها: نهر ممتد، وقرية، ومضافة، وعشيرة، ولهجة محلية، ولباس تقليدي. ومع محدودية الأعمال التي تناولته على امتداد تاريخ الدراما التلفزيونية السورية، وغياب صور موازية تكشف تنوعه الاجتماعي والثقافي، اكتسب تكرار هذه الملامح أثراً مضاعفاً، فتحوّلت تدريجياً من عناصر داخل صورة واسعة إلى الصورة نفسها، حتى تكوّنت، من خلال هذه الأعمال المحدودة، صورة للفرات تتقدم فيها القربة والعر، فيما تتراجع مدنه ومدارسه ومهنه وحضور نسائه وتحولاته الاجتماعية.

أعادت الدراما ترتيب عناصر الواقع على نحو جعل بعضها يتقدم على بعض؛ فالصورة الدرامية ليست انعكاساً محايداً للواقع، وإنما بناء دلالي يعاد من خلاله تشكيله عبر انتقاء علامات محددة وتنظيمها داخل الحكاية. وهكذا صار النهر بوابة الفرات، والعشيرة مفتاح تفسير مجتمعه، واللهجة علامته الأولى، فيما تراجعت المدينة والمؤسسة والمهنة والتجربة الفردية إلى خلفية المشهد، وبذلك تجاوزت هذه العناصر موقعها ضمن صورة الفرات، وأصبحت الإطار الذي يرى من خلاله المكان كله.

وبصفتي ابناً للفرات، أبحث عن صورة تتسع لتنوع المنطقة الحقيقي، صورة يظهر فيها الفرات مكاناً متغيراً صنعته المدينة والقرية، والتعليم والعمل، والعشيرة والدولة، والرجال والنساء، إلى جانب النهر والأرض والذاكرة.



حسن عبد الله الخلف

صحفي وباحث
وكاتب سوري

بصفتي ابناً للفرات،
أبحث عن صورة
تتسع لتنوع المنطقة
الحقيقي، صورة
يظهر فيها الفرات
مكاناً متغيراً صنعته
المدينة والقرية،
والتعليم والعمل،
والعشيرة والدولة،
والرجال والنساء.



مشهد من مسلسل الغريب والنهر - 1996

وفقه خيارات الزواج والخصومة والمصالحة ومكانة الفرد، ويحتل الشيخ أو الوجيه موقعاً محورياً، وتتمر عبره القرارات الكبرى، بينما يتراجع حضور الدولة والمدرسة والمهنة والإدارة. يملك العمل الدرامي الحق في تناول سلطة العشيرة والعرف، ومناقشة الزواج المفروض والتأثر والصراعات العائلية، مثلما يتناول الفساد في المدينة والاستبداد داخل الأسرة والسلطة في المؤسسة. تبدأ المسألة حين يصبح العرف التفسير الأبرز لكل ما يحدث، وحين تتراجع إلى جواره القوى الأخرى التي صنعت تاريخ المنطقة وتحولاتها، فالعشيرة بنية مؤثرة في المجتمع الفراتي، لكنها لا تستنفذ هذا المجتمع ولا تفسر وحدها جميع علاقاته. أما «النهر سلطان» (1988)، فيمنح الشخصية مساحة إنسانية ورمزية أوسع، فالنهر لا يظهر مجرد خلفية طبيعية، وإنما يدخل في تكوين الذاكرة والخسارة والانتظار والمصير

الدولة والتعليم والإدارة، بينما يمتلك أهل المكان معرفة بالعلاقات والقرابة والعرف.

ولهذه المعرفة المحلية قيمتها في حفظ التوازن وإدارة النزاعات ومنح المجتمع أدواته الخاصة للفهم، غير أن تكرار ربط المعرفة الحديثة بالمركز قد يجعل الفرات موضوعاً يحتاج إلى من يفسره ويقوده، أكثر من ظهوره مجتمعاً قادراً على إنتاج التغيير من داخله.

فقد يكون الفرات مركزاً للأحداث من الناحية الجغرافية، لكنه يبقى في هامش السرد حين تأتي القدرة على تفسير المشكلة واقتراح الحل من خارجه، لذلك لا يكفي أن تظهر المنطقة على الشاشة، الأهم هو من يتكلم باسمها، ومن يفسر عالمها، ومن يملك حق اتخاذ القرار داخلها. في «الحيار» (1988)، ينتقل الصراع إلى قلب المجتمع المحلي، فالعائلة والعشيرة تمثلان النظام الذي تتحرك داخله الشخصيات، وتتحدد

في «الوسيط» (1978)، تظهر المنطقة عند نقطة تماس بين علاقات العرف والقرابة من جهة، ومؤسسات القانون والإدارة والتعليم من جهة أخرى، ويؤدي الوسيط دوراً يتجاوز تسوية الخلافات، إذ يصبح صلة بين المجتمع المحلي والمؤسسة، وحاملاً للمعرفة الحديثة. يمنح العمل العرف وظيفة في حفظ بعض أشكال التماسك، ولا يصور الشخصيات المحلية عاجزة تماماً عن إدارة شؤونها، غير أن اتجاه التغيير يبقى، في جانب أساسي منه، قادماً من خارج البنية المحلية.

وتظهر هذه الفكرة بوضوح في «الوسيط»، ثم تعود بصيغة مختلفة في «الغريب والنهر»، بينما تتخذ علاقة المعرفة والسلطة مسارات أخرى في «الحيار» و«النهر سلطان». ففي بعض الأعمال، ترتبط المعرفة المنظمة أو المؤسسية بالشخصية الوافدة، أي القادمة من خارج الفضاء الفراتي، أو بالشخصية الأقرب إلى

وتكتسب الشخصيات قدراً أكبر من التردد والتناقض والتحول، فلا تبدو مجرد حوامل للانتماء العشائري أو الجغرافي، وهنا يقترب الفرات من أن يكون تجربة إنسانية تتجاوز حدود البيئة المحلية.

ومع ذلك، تكشف القوة الجمالية للنهر عن مفارقة أخرى، فكلما ازداد حضور الماء والأرض والطبيعة، ازداد احتمال تراجع المدينة والتاريخ الاجتماعي الحديث خلف الصورة الشعرية، فالفرات مدن وأسواق ومدارس ودوائر إدارية ومقاهٍ ونوايا ثقافية وطبقة وسطى وموظفون ومعلمون وأطباء وكتّاب وفنانون، إلى جانب النهر والريف والأرض. وعندما يقل حضور هذه العناصر، يبقى المكان جميلاً ومؤثراً، لكنه يظهر أقلّ اتساعاً من واقع.

وبذلك يخفف «النهر سلطان» من صلابة النموذج التمثيلي السائد عبر توسيع المساحة الإنسانية للشخصية، دون أن يخرج كلياً من الصورة التي تربط الفرات بالنهر والريف والأرض. وفي «الغريب والنهر» (1996)، تعود الشخصية الوافدة لتكون مدخلاً إلى مساءلة المجتمع المحلي. يكشف الغريب حدود الجماعة وموقفها من المختلف، ويشغل موقعاً يسمح له برؤية ما اعتادته الشخصيات الأخرى وإعادة تفسيره، ولا يمتلك الغريب الحقيقة كاملة، لكنه يحصل على مساحة في تحريك السرد، بما يعيد جزئياً ربط زاوية النظر المغايرة بشخصية تأتي من خارج المجتمع المحلي.

يلفتني في هذه الأعمال أن الشخصية الفراتية تعرّف غالباً من خلال انتماؤها قبل مهنتها أو مشروعها الفردي.. نعرفها من اللهجة والملبس والعشيرة ومكان الإقامة، قبل أن نعرف ماذا تعمل، وماذا تقرأ، وما الذي تلمح إليه. وهكذا تتقدم الجغرافيا على الفرد، ويغدو الموقع الاجتماعي أكثر تأثيراً في مسار الشخصية من خبرتها الذاتية.

وتؤدي اللهجة دوراً مركزياً في هذا البناء، وهي عنصر ضروري للصدقية الفنية، ولا يكمن الحل في تخفيفها أو الاستعاضة عنها بلهجة أخرى. تكمن

المشكلة في ضيق نطاق الأدوار التي ارتبطت بها، فعندما تتكرر لهجة المركز في أفواه شخصيات تنتمي إلى مهن وطبقات ومواقع متنوعة، تبدو مع الزمن أقل ارتباطاً بمكان محدد، أما اللهجة الفراتية، حين يتركز حضورها في المضافة والقرية ومجلس العشيرة، فتصبح أكثر التصاقاً بنمط اجتماعي واحد.

تحتاج اللهجة الفراتية إلى التحرر من الارتباط الحصري بالدور الواحد، فهي لغة الشيخ والفلاح وابن القرية، وهي أيضاً لغة الطبيبة والباحثة والمعلم والمهندسة والصّحفي والموظف، ويتحقق التنوع التمثيلي حين تدخل الخصوصية اللغوية في أدوار وخبرات ومواقع اجتماعية متعددة.

وينطبق الأمر ذاته على المرأة الفراتية، إذ تكشف المقارنة بين الأعمال أن حضور المرأة ظلّ -في معظم خطوطه- مرتبطاً بالأسرة والزواج والقرابة، وأن قراراتها بقيت متصلة بمصالح الجماعة ومواقع الرجال داخلها، وقد تعترض أو تقاوم، غير أن قدرتها على إعادة تشكيل مسار الحكاية تبقى محدودة.

ولا ينفرد الفرات بهذا النمط، فقد أعادت الدراما العربية لسنوات طويلة إنتاج المرأة داخل الأسرة أكثر

حين لا تظهر

المنطقة

إلا في أعمال

معدودة،

فإن كل شخصية

تصبح أكثر قابلية لأن

تتحول،

في ذهن المشاهد،

إلى نموذج عام.

من تقديمها في المجال العام، غير أن محدودية الأعمال التي تناولت المنطقة منحت هذا التمثيل أثراً أكبر.

إن واقعية وجود المرأة الخاضعة داخل المجتمع لا تبرر احتكارها لصورة المرأة الفراتية؛ لذلك يبرز سؤال المرأة الأخرى: أين المعلمة والطبيبة والموظفة والمثقفة وصاحبة المبادرة؟ وأين المرأة التي تشارك في إنتاج المعرفة وصناعة القرار، عوضاً عن حصر حضورها في الزواج والشرف والعائلة؟ ما غاب عن الشاشة لا يقل أهمية عما ظهر عليها، فقد حضرت القرية أكثر من المدينة، والشيخ أكثر من الموظف، والعرف أكثر من المدرسة، والنهر أكثر من المؤسسة، والعائلة أكثر من المهنة. ولا يعني ذلك أن كل عمل مطالب بتقديم صورة موسوعية عن المنطقة؛ فالدراما ليست إحصاء اجتماعياً ولا تقريراً ميدانياً، لكن تكرار الاختيارات المتشابهة، في ظل محدودية الأعمال البديلة، أنتج ما يمكن تسميته «الفرات المتخيل»، فضاء يتكون من عناصر واقعية، لكنه أضيق من الواقع الذي يحيل عليه.

وتراكمت هذه الصورة بفعل عوامل متداخلة، في مقدمتها مركزية الإنتاج التلفزيوني والقرار الثقافي، ومحدودية الأعمال المتخصصة، ونقص المعرفة الكتابية المباشرة بتفاصيل الفرات الاجتماعية واللغوية، إلى جانب الرقابة الرسمية والذاتية، والإمكانات الإنتاجية، وتوقعات السوق.

وأسهم تكرار الصيغ السردية المألوفة في تحويل بعض العلامات إلى مدخل شبه ثابت لتعريف الفرات، لذلك ينصرف النقد إلى المعاني التي أنتجت الصورة، وإلى ما رسخته من علاقة بين المكان والشخصية والمعرفة، بصرف النظر عن وجود قصد مباشر وراءها.

أطمح إلى دراما تتناول الفرات دون تجميل أو اختزال؛ تكشف صراعاته وأعرافه وسلطاته الأبوية، وتظهر في الوقت نفسه مدنه ومؤسساته ومهنه وطبقاته وتحولاته؛ فالصورة المنزهة عن العيوب ليست أكثر صدقاً من الصورة المختزلة، والمطلوب حكاية تتسع لتناقضات المنطقة، وتمنح





مشهد من مسلسل الحيار - 1988

بموقع دمشق بوصفها مركزاً للسياسة والإدارة والثقافة، وبكون لهجتها مفهومة على نطاق سوري وعربي واسع. ولم يكن الخطاب اللهجي محايداً، إذ يعكس علاقات القوة بين المركز والهامش، والمدينة والريف. كما أن المنتجين كانوا ينظرون إلى اللهجات المحلية على أنها أقل قابلية للتسويق، مع أن تجارب لاحقة، مثل «ضيعة ضايعة» و«الخربة»، أثبتت أن اللهجة المحلية تستطيع تجاوز محيطها عندما تتوافر لها الكتابة الجيدة والإنتاج المناسب.

لا أنكر وجود أوامر مكتوبة تحد من استخدام لهجة سورية بعينها، لكن السلطة كانت تمارس تأثيرها عبر الإحياءات والتعليمات الشفهية والثقافة المؤسسية العامة. ففي اجتماع رسمي عُقد سنة 2009 في مبنى الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون، نُقلت إليّ رغبة وزير الإعلام آنذاك في

أثّرت في حضور المنطقة وصورتها على الشاشة.

الشهادة الأولى: الدكتور ممتاز الشيخ - المدير العام السابق للهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون السورية.

شهدت الدراما السورية، في مراحل متباعدة، محاولات لإنتاج أعمال باللهجات المحلية، ومنها لهجات المنطقة الشرقية، وحوران، والشويفاء، والساحل، والبادية، غير أن هذه الأعمال بقيت محدودة من حيث حجم الإنتاج والأثر الجماهيري، واتخذ بعضها طابعاً كوميدياً أو تهكمياً، مع مبالغة أحياناً في إبراز مفردات لهجية بعينها.

وفي المقابل، اكتسبت اللهجة الدمشقية، أو ما اصطلح على تسميته «اللهجة البيضاء»، قدرة أوسع على الانتشار، وصارت أكثر حضوراً في الأعمال الجادة ذات الرسائل الاجتماعية والتاريخية.

أرى أن هذه الهيمنة ارتبطت

شخصياتها القدرة على تفسير عالمها وصناعة القرار فيه.

تتحقق عدالة التمثيل حين تصبح الشخصية الفراتية ذاتاً تشارك في كتابة الحكاية السورية، ولا تبقى مجرد موضوع تنظر إليه الدراما من المركز، وحين يظهر الفرات نهراً ومدينة وقرية ومدرسة وسوقاً ومؤسسة وذاكرة، يتحول اختلافه من علامة على الهامش إلى جزء طبيعي من تعدد المجتمع السوري.

شهادات من داخل التجربة الدرامية

جُمعت الشهادات الآتية خلال بحث سابق أعدته بعنوان «تمثيل الفرات في الدراما التلفزيونية السورية.. بناء الشخصية وإنتاج المعنى». وتقدم ثلاث زوايا تتصل بالمؤسسة والإخراج والكتابة، وتكشف بعض العوامل التي

أن أخفف من لهجتي «الديرية» التي وُصفت بأنها فاقعة.

وتكشف هذه الواقعة، في تقديري، عن معيار ضمني للصوت المقبول في المؤسسة، أكثر مما تكشف عن قرار رسمي معلن ضد اللهجات المحلية.

وخلال إدارتي للهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون بين عامي 2008 و2010، لا أذكر أننا قبلنا عملاً درامياً أو رفضناه بسبب لهجته المحلية، غير أن الإنتاج الرسمي كان في تلك المرحلة أضعف من إنتاج الشركات الخاصة. وقد واجهت كذلك عقبات عند العمل على فيلم وثائقي عن المناضل رمضان الشلاش ودور عشائر دير الزور في مقاومة الاستعمار، إذ طُلبت تبريرات متكررة لاختيار هذه الشخصية، وهو ما يؤكد حساسية حضور تاريخ المنطقة الشرقية داخل المؤسسة الثقافية المركزية.

إن إنصاف البيئات السورية المختلفة لا يتحقق بحذف اللهجات أو العادات من الدراما، بل بتقديمها ضمن شخصيات متعددة الأدوار والمهن والمواقف، وبمنح أبناء المناطق حق المشاركة في كتابة صورتهم وإنتاجها، حتى لا تبقى لهجة المركز وحدها قادرة على تمثيل السوري العام.

* المصدر: إفادة مكتوبة قَدَّمها الدكتور ممتاز الشيخ عام 2025.

الشهادة الثانية: المخرج الدكتور لطفي لطفي - مخرج مسلسل «النهر سلطان»

مثّل مسلسل «النهر سلطان»، المأخوذ عن قصة الأديب عبد السلام العجيلي، تجربة مبكرة في نقل البيئة الفراتية إلى الشاشة السورية، وقد كان التحدي الأساسي في تحويل نص أدبي مكثف، تدور بنيته حول شخصية مبروك وعلاقته بنهر الفرات، إلى لغة بصرية قادرة على إظهار المكان والطبيعة والذاكرة والخوف والأمل، دون أن تفقد القصة بساطتها وقوتها الرمزية.

ينطلق العمل من العلاقة المزدوجة بين الإنسان والنهر؛ فالفرات مصدر للحياة والخصب، لكنه يتحول في

مواسم الفيضان إلى قوة مدمرة تجرف البيوت والمواشي وتحصد الأرواح.

ومن خلال شخصية مبروك، الذي فقد ابنه الوحيد في أحد الفيضانات، حاول المسلسل التعبير عن خبرة جيل كامل عاش أمام الطبيعة بإمكانات محدودة، ثم رأى في بناء السد وعداً بالسيطرة على خطر النهر وحماية السكان.

كان المكان عنصراً أساسياً في الرؤية الإخراجية، لا خلفية محايدة للأحداث، فالبيئة الفراتية تُقرأ في امتداد الأرض، وحركة الماء، وملامح الوجوه، وطريقة اللباس والكلام، وفي العلاقة اليومية بين السكان والنهر. وقد سعى العمل إلى تقريب هذه البيئة من المشاهد السوري، وإلى نقل قصة محلية تحمل معنى إنسانياً عاماً عن مواجهة الإنسان لقوى الطبيعة، وعن الانتقال من الخوف إلى الأمل بالعلم والعمل.

أتاحت مشاركة عدد من أبناء الرقة في التمثيل، قدراً من الصلة بالبيئة المحلية وذاكرتها، كما أن استقبال الجمهور في الرقة للعمل كان لافتاً؛ لأن المشاهدين رأوا على الشاشة مكاناً يعرفونه وتجربة تمس حياتهم مباشرة. وقد بقي المسلسل حاضراً في الذاكرة

تتحقق
عدالة التمثيل
حين تصبح الشخصية
الفراتية ذاتاً تشارك
في كتابة الحكاية
السورية،
ولا تبقى مجرد
موضوع تنظر إليه
الدراما من المركز

المحلية، على الرغم من قصره وتَدَرُّد الأعمال التي عادت بعده إلى تقديم الفرات بوصفه فضاءً اجتماعياً وإنسانياً مستقلاً.

تؤكد هذه التجربة أن تمثيل البيئة الفراتية يحتاج إلى معرفة دقيقة بالمكان واللهجة والتاريخ الاجتماعي، وإلى تعاون بين الكاتب والمخرج والممثلين وأبناء المنطقة، ولا ينبغي أن يقتصر حضور الفرات في الدراما على العشيرة أو الفيضان أو الريف وحدها، بل يجب أن يشمل المدينة والتعليم والعمل والثقافة والتحويلات التي عرفها المجتمع. فالعمل المحلي يكتسب قيمته الحقيقية عندما يقدم بيئته بخصائصها، ويجعلها في الوقت نفسه جزءاً من الحكاية السورية العامة.

* المصدر: إفادة خاصة قَدَّمها الدكتور لطفي لطفي عام 2025.

الشهادة الثالثة:

الكاتب ممدوح حمادة

تُعد مسألة تمثيل منطقة الفرات والجزيرة في الدراما السورية من الموضوعات التي لا يمكن تفسيرها بعامل واحد، وفيما يتعلق بموقف السلطة من إنتاج أعمال تتناول هذه المنطقة، لا أستطيع تقديم رأي حاسم، لأنني أقيم خارج سورية منذ أكثر من أربعين عاماً، ولم يكن لدي خلال هذه المدة احتكاك مباشر بالمؤسسات الرسمية أو بالجهات المسؤولة عن صناعة الدراما، ولذلك أفصّل ترك هذه المسألة لمن امتلكوا اطلاعاً مباشراً على آليات اتخاذ القرار داخل المؤسسات المعنية.

أما إذا استبعدنا فرضية وجود موقف سياسي مقصود، فإنني أرى أن أحد أهم أسباب تَدَرُّد الأعمال التي تناولت الفرات والجزيرة يعود إلى طبيعة السوق الدرامية وآليات الإنتاج، فقد ينظر بعض المنتجين إلى هذه الأعمال بوصفها أقل قدرة على الانتشار أو أكثر كلفة بسبب التصوير في المنطقة، إلا أنني لا أعّدّ هذه الأسباب حاسمة، لأن الدراما السورية استطاعت إنتاج أعمال بدوية واسعة الانتشار، الأمر الذي يدل على أن البيئة



الفراتية ليست أقل قابلية للتقديم إذا توفرت الإرادة الفنية والإنتاجية. وفي تقديري، يبقى السبب الأهم هو ندرة الكتاب القادرين على التعبير عن روح المنطقة، فمعظم الكتاب يكتبون عن البيئات التي يعرفونها ويعيشون تفاصيلها، بينما تحتاج الكتابة عن الفرات والجزيرة إلى معرفة دقيقة بالمكان والناس والعلاقات الاجتماعية واللهجة، ومن الصعب أن يكتب شخص عن مجتمع لا يعرفه معرفة عميقة، ولذلك بقيت الأعمال التي تناولت المنطقة قليلة ومحدودة. ولا أعتقد أن اللهجة تمثل عائقاً حقيقياً أمام الإنتاج، لأن الممثل السوري أثبت قدرته على أداء لهجات مختلفة، كما يحدث في الأعمال البدوية وغيرها، ويمكن دائماً الاستعانة بخبراء لهجة لضبط الأداء، وهو أمر متبع في كثير من الإنتاجات الدرامية. أما السخرية من اللهجة الفراتية أو استخدامها بوصفها وسيلة لإنتاج الكوميديا، فأراها ناتجة في الأساس عن جهل بالبيئة التي تنتمي إليها هذه اللهجة، وليس عن خصائص كامنة فيها،

فمن منظور لغوي لا توجد لهجة راقية وأخرى متخلفة، فكل لهجة تمثل بيئة اجتماعية وثقافية بعينها، ولا تعبر عن مستوى فكري أو حضاري لأصحابها. ولعل من الأمثلة الدالة على ذلك اختلاف أسماء الأشياء بين البيئات السورية. فالكلمة التي تعرف في منطقة باسم «فؤاشات» تسمى في منطقة أخرى «عؤامات»، وهما تسميتان للشيء نفسه، ولا يحمل أي منهما قيمة أعلى من الأخرى، ومن ثم فإن السخرية من الاختلاف اللغوي لا تستند إلى أساس علمي، وإنما تعكس نقصاً في الثقافة اللغوية وضعفاً في الإحساس بالمسؤولية تجاه التنوع الثقافي.

ومن المبادئ التي أحرص على تأكيدها في الدورات التي أقدمها في كتابة السيناريو أن من أخلاقيات الكتابة الدرامية الامتناع عن الإساءة إلى أي فرد أو جماعة بسبب الانتماء العرقي أو القبلي أو الطبقي أو الديني أو الجغرافي، فالكاتب مسؤول عن الصورة التي ينتجها، ولا يجوز أن تتحول الدراما إلى وسيلة للسخرية من الآخر أو

الخط من كرامته الإنسانية. ومن الطبيعي أن يشعر الإنسان بالدهشة عندما ينتقل من بيئة إلى أخرى تختلف عنه في بعض العادات أو التقنيات أو أنماط الحياة، غير أن هذه الدهشة تختلف عن تحويل الاختلاف إلى مادة للسخرية أو المبالغة الكاريكاتورية بقصد إثارة الضحك، فالاختلاف الإنساني مشروع، أما اختزاله في صورة ساخرة فهو ممارسة لا تخدم الفن ولا المعرفة. وأعمل حالياً على كتابة عمل درامي باللهجة الفراتية، وأسعى إلى الاستعانة بخبير لهجة لضمان سلامة الأداء اللغوي، انطلاقاً من قناعتي بأن هذه البيئة تمتلك ثراءً إنسانياً ودرامياً يستحق أن يقدم بصورة دقيقة ومحترمة، على غرار ما تحقق سابقاً في أعمال مثل «ضيعة ضايعة» و«الخربة»، عندما نجحت الأعمال في نقل اللهجة المحلية إلى جمهور واسع دون أن تفقد خصوصيتها.

* المصدر: مقابلة خاصة

مع الكاتب ممدوح حمادة، 2025.

المضافة والمجلس: فضاء الكلام والعرف والصلح والمكانة

وفي هذا الفضاء، تُدار جلسات الصلح، ويجتمع القوم ليتدارسوا القضايا والمشكلات المجتمعية، وينتجوا خلاصةً للحل، تُطبَّق وفق اتفاق رسمي وتقاليد محددة تؤسسها هذه المجالس ذاتها، فالصلح هنا ليس تسويةً شكلية، بل مساراً كاملاً يبدأ بـ «الجاهة» التي تحمل الكلمة إلى الطرف المتضرر، ويمرّ بالاعتراف والتنازل المتبادل، وينتهي غالباً بـ «العطوة» التي تُوقف التصعيد وتفتح الباب أمام الحل النهائي.

وبهذا، يتحول الثأر -وهو أحد أخطر تجليات العرف- من مسارٍ للانتقام إلى موضوعٍ للتفاوض، تُدار تعقيداته ضمن منظومةٍ تعرف كيف توازن بين الكرامة المجروحة وضرورة استمرار الحياة المشتركة.

ولا يقلّ عن ذلك أهمية ما تحمله المضافة من قيمة الجيرة والحماية، فالجار في هذا الفضاء ليس مجرد ساكنٍ قريب، بل طرفٌ في منظومة تكافلٍ وضمانٍ متبادل، والمستجير بالمجلس يجد فيه حمايةً أدبية قد تفوق أحياناً حدود القانون الرسمي، لأنها مبنية على شرفٍ جماعي يأبى أن يُخذل من التجأ إليه.

ولعلّ ما يميز هذا الفضاء أيضاً أنه لا يُدار بمنطق الغلبة، بل بمنطق الكلمة، فالسلاح فيه معنوي لا مادي، والقوة التي تُحسم بها القضايا هي قوة الحجة، وثقل السيرة، وصدقية من ينطق باسم الجماعة.

ومن هنا، فإن المجلس يُنتج نوعاً من «القضاء الاجتماعي» الموازي، لا يستمد شرعيته من نصٍّ مكتوب، بل من توافقٍ جماعي متوارث، يعترف به

في خضمّ الأزّمت الرأهنة، والصراعات المعرفية، والتحديات التي تواجه تماسك المجتمعات، كان للمضافة دورٌ حقيقي في الحفاظ على الصورة الجمعية، وترسيخ العقليّة المنهجية، وصون الوحدة الوطنية، فهي ليست جداراً وسقفاً يستقبلان الضيف فحسب، بل منصةً ثقافية جامعة، تختزن تراثاً محلياً، ويجتمع حولها القوم على اختلاف مشاربهم، وتتشكل فيها المجالس وفق قوانين وآدابٍ وُضعت بترابيّة زمانية، وبعقليّة واعية مدركة لقيمة هذا الفضاء ووظيفته.

ولهذا، يكون للكبير في السن مكانته، وللمختص خبرته، وللمثقف حضوره، وللرجل العامي مقعده أيضاً، فالمضافة لا تُقصي أحداً، بل تمنح كل فئةٍ من فئات المجتمع موقعاً يتناسب مع دورها، وتُبنى القرارات فيها وفق الأطر التي تحددها هويّة المكان، لا وفق سلطةٍ فردية أو تحكّمٍ عابر.

كيف تُصاغ المكانة داخل المجلس؟

لا تُمنح المكانة في المضافة جُزافاً، بل تُكتسب عبر تراكمٍ من الحكمة، والسيرة، والقدرة على القول الفصل عند الحاجة، فالمجلس مساحةٌ يتجلى فيها «الوجه» بوصفه رأس مال رمزياً يحمله الفرد والعائلة معاً، وحين يتكلم صاحب المكانة، فإن كلامه لا يُقاس بمضمونه فحسب، بل بثقل موقعه، وبما يمثله من ضمانة اجتماعية.

وهذا ما يجعل الحديث في المضافة أشبه بفعل اجتماعي مركّب، تتقاطع فيه اللغة مع الهوية، والعرف مع السلطة الأدبية غير المكتوبة.



مجاهد الحريري

ناشط ثقافي ومجتمعي

المجلس يُنتج نوعاً من «القضاء الاجتماعي» الموازي، لا يستمد شرعيته من نصٍّ مكتوب، بل من توافقٍ جماعي متوارث، يعترف به الجميع، وإن اختلفوا أحياناً في تفاصيل تطبيقه





فيه منظومة قيم عميقة الجذور. وحين يُحسن توظيف هذا الفضاء، ويُدار بوعي يوازن بين حكمة العرف وسيادة القانون، يتحول إلى جسرٍ للصالح والاستقرار.

وليس العرف في جوهره عائقاً أمام العدالة، وما يظهر أحياناً من تعارضٍ بينه وبين القانون لا يعود إلى المنظومة العرفية بذاتها، بل إلى بعض الممارسات غير الصحية التي تسربت إلى بعض هذه المجالس، حين يُستغل الصلح لتمرير التسويات على حساب الحق العام، أو حين تُختصر المسؤولية الجنائية في تراص عائلي لا يمثل إلا طرفي النزاع.

وهذه ممارسات عارضة، لا تُلغي القيمة الأصلية للمضافة، بل تستدعي تقويمها لا إسقاطها. ومن هنا، فإن الحل الأنسب لا يكون بإقصاء المجلس عن دوره، ولا بترك العرف يعمل بمعزلٍ عن الدولة، بل ببناء صيغة توافقٍ حقيقية بين مؤسسات الدولة المدنية والمضافة، بحيث يُستثمر حضور المجلس في ترميم العلاقات وحفظ السلم الأهلي، فيما تبقى مساءلة الحق العام ومسار العدالة الرسمية مصونة لا تُستبدل ولا تُختزل، وبهذا التكامل بين الطرفين، يتحول ما يُظنّ عائقاً إلى رافدٍ إضافي للعدالة، لا بديلٍ عنها.

النفوس أو العرض- ضمن منطق الصلح العشائري وحده، فقد يُختزل الحق العام في تسويةٍ بين طرفين، ويغيب المتضرر الحقيقي عن موقع القرار، وقد تُفرض «العطوة» بوصفها إنهاءً للنزاع، بينما يبقى الجاني بلا مساءلةٍ قانونية كاملة.

وهنا يتحول العرف من ضامنٍ للسلم الأهلي إلى غطاءٍ يُعطل سيادة القانون، ويُنتج عدالةً موازية قد لا تُنصف الضعيف بقدر ما تحفظ توازن القوة بين العائلات والعشائر.

والفيصل في هذه الإشكالية لا يكون بإلغاء دور المضافة والمجلس، فهذا إفقارٌ للمجتمع من أحد أعمق مكوّناته الثقافية، ولا يكون كذلك بترك العرف يعمل خارج أي إطارٍ رقابي، بل بإيجاد تكاملٍ واعٍ بين منظومة العرف ومنظومة القانون، بحيث تُستثمر المضافة فيما تُحسنه: ترميم العلاقات الاجتماعية، وامتصاص التوتر الأهلي، وصون النسيج المجتمعي، بينما تبقى الجرائم الجسيمة والحقوق العامة محفوظةً لمسار العدالة الرسمية، لا بديلاً عنه.

وخلاصة القول تتجلى في أن المضافة والمجلس ليسا أثراً من الماضي يُستعاد للزينة، بل فضاءً حيّ تُصاغ فيه الذاكرة، وتُدار فيه الخلافات، وتُنتج فيه المكانة، وتُمارَس

الجميع، وإن اختلفوا أحياناً في تفاصيل تطبيقه. وهذا التوافق هو ما يمنح قرارات المضافة قوة التنفيذ، رغم غياب أي سلطةٍ قسرية تُلزم به، إذ يكفي أن يوصم من يخرج عن قرار المجلس بفقدان «الوجه» أمام جماعته، وهي عقوبة اجتماعية قد تكون أشدّ وقعاً من أي عقوبةٍ رسمية.

هل يظل العرف رديفاً للدولة أم يتحول إلى عائق؟

لم تكن المضافة يوماً منفصلة عن الشأن العام، فبها أيضاً يتحاور الجمع في القضايا السياسية، والدولية منها والمحلية، وتُطرح فيها الموضوعات الفكرية، فتكون بيئةً حيةً لرفع السوية الفكرية عند أبناء المجتمع، ورديفاً للدولة في لحظاتٍ كثيرة، إذ تعمل على الجمع والموازنة بين أسباب تعاطي الدولة مع الظروف السياسية الدولية وبين فهم المجتمع لها، فهي التي توضح للناس الأسباب والمعطيات والتجارب، وترجم القرار الرسمي إلى وعي شعبي قابل للهضم والتفاعل. غير أن هذه القوة ذاتها التي تجعل من العرف أداةً لترميم العلاقات، قد تتحول في سياقاتٍ أخرى إلى عائقٍ أمام العدالة والقانون، فحين تُدار قضايا جنائية خطيرة -كالاعتداء على



ملتقى رواق للتراث السوري



وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

ملتقى رواق فضاء للأثر والحكاية

رواق منصة لتوثيق التراث الثقافي
السوري، تُعنى بحفظ التراث المادي
واللامادي وتوثيقه وفق مقاربة
أخلاقية وبحثية.

ومن فعالياتاته «حرفة تحت الضوء»،
التي قرّبت الجمهور من الحرف
السورية وصناعاتها ومعارفها
المتوارثة.

يقترب ملفّ العدد من ثقافة
الطفل السوري، عبر أسئلة الهوية
والذاكرة والخيال والتعافي، ودور
البيت والقراءة والفنّ واللعب
في بناء وعيه واستعادة صوته.
وتضيء مواده كذلك ملامح رؤية
وطنية تعمل عليها وزارة الثقافة
لتوسيع المشاركة، ورعاية
المواهب، وربط الطفل بمجتمعه
ومستقبله، وجعل الثقافة
جزءاً من حياته اليومية
ومساراً للنموّ الإنساني.



ثقافة تبدأ من الطفولة ولا تتوقف من الأنشطة المتفرقة إلى منظومة وطنية لثقافة الطفل

يحمل هذا التّصوّر تحوُّلاً في فهم العمل الثقافيّ الموجه إلى الأطفال واليافعين، فالثقافة مسار تراكمي يبنى الوعي والدّوق والمهارة والقيم، ويمنح الظّفل أدوات فهم العالم والتّفاعل معه؛ فكلّ قصّة يقرأها، ولوحة يرسمها، وتجربة مسرحيّة أو موسيقيّة يشارك فيها، تضيف إلى تكوينه الإنسانيّ والثقافيّ.

منظومة وطنية لا جهود متفرقة

تعمل المديرية على الانتقال من الأنشطة المتفرقة والموسميّة إلى منظومة وطنيّة متكاملة تصل إلى الأطفال واليافعين في المحافظات السّوريّة الأربع عشرة، وترتبط البرامج بالمراكز الثقافيّة والمدارس والمجتمعات المحليّة والمؤسسات المعنيّة بالطفولة، فالهدف هو بناء مسار ثقافيّ منتظم يكتشف المواهب ويرعاها، ويغرس القيم، ويعزّز الهويّة الوطنيّة الجامعة، ويمنح الظّفل مكاناً حقيقيّاً في الحياة الثقافيّة.

تنطلق المنظومة من خمسين مركزاً ثقافياً فاعلاً عام 2026، مع خطّة لتوسيع الشّبكة إلى سبعين مركزاً بحلول 2028، بما يقرب فرص القراءة والفنّ والتّعلّم من الأطفال في المدن والأرياف والمناطق البعيدة.

وتواجه الخطّة تحديات متفاوتة منها: جاهزيّة المراكز، واتّساع الفجوة بين المحافظات، ونقص الكوادر والموارد، لذلك تقوم على التدرّج، وبناء الشّراكات، وتدريب الكوادر والمتطوّعين، وقياس ما يتحقّق فعليّاً.

حين نسأل: كيف تُبنى الأوطان؟ تتجه الإجابات إلى الاقتصاد والعمران والمؤسسات، غير أنّ بناء الوطن يبدأ أيضاً في وعي أطفاله؛ فالظّفل الذي يقرأ ويرسم ويمثّل ويسأل ويجرّب، هو المواطن الذي سيبنى ويبدع ويقود غداً، وما يُزرع في وجدانه اليوم من معرفة وقيم وخيال سيظهر لاحقاً في نظريته إلى نفسه ومجتمعه ووطنه. تأتي هذه الرّؤية في مرحلة يحتاج فيها الظّفل السّوريّ إلى استعادة علاقته بالكتاب والمسرح والموسيقى والفنّ والمكان العامّ.

فقد كرّس النّظام البائد ثقافة التّلقين، ثمّ واجه الثّورة بالقمع والعنف، وما نتج عنهما من نزوح وتهجير ولجوء وغربة، قطعت صلة أطفال كثيرين ببيوتهم ومدارسهم وأمكنّتهم، وأثّرت في فرصهم في التّعلّم والتّعبير والمشاركة. لذلك يرتبط الاستثمار في ثقافة الظّفل بإعادة بناء الثّقة والانتماء، وترميم علاقته بذاته ومجتمعه وذاكرته، ومنحه القدرة على المشاركة وتخيّل المستقبل. من هذا اليقين تنطلق رؤية مديرية ثقافة الأطفال واليافعين في وزارة الثقافة، التي تنظر إلى ثقافة الظّفل على أنّها عمليّة بناء متواصلة تبدأ منذ سنواته الأولى، وتتطوّر معه حتّى عتبة مرحلة الشّباب، وتمتدّ من الكتاب والمسرح والفنون إلى المحتوى الرّقميّ والمهارات الحيّاتيّة. وتختصر المديرية غايتها في هذه العبارة: «إنسان سوريّ واعٍ بهويّته، مبدعٌ بمهاراته، فاعلٌ في مجتمعه، تصنعه ثقافةٌ وطنيّة تبدأ من الطفولة ولا تتوقّف».



زهير البري

مدير مديرية ثقافة
الأطفال واليافعين
في وزارة الثقافة

إنسان سوريّ
واعٍ بهويّته،
مبدعٌ بمهاراته،
فاعلٌ في مجتمعه،
تصنعه
ثقافةٌ وطنيّة
تبدأ من الطفولة
ولا تتوقّف





جلسة مؤرّعة على خمسة محاور: البناء النفسي والفكري والقيمي والفني وتنمية المهارات المجتمعية. وتجمع جلسات بين المعرفة والحوار والتجربة والعمل الجماعي، لتساعد اليافع على فهم ذاته واكتشاف قدراته والتدرب على المبادرة والمسؤولية. ويأتي برنامج «اكتشف التخصص»، بالتعاون مع وزارة التعليم العالي، لمساعدة الطلاب على اختيار تخصصاتهم الجامعية وفق ميولهم وقدراتهم والمسارات الأكاديمية والمهنية المتاحة، كما تشمل الخطة برامج لاكتشاف المواهب الأدبية والفنية والعلمية، وتنمية المهارات القيادية؛ لأنّ الموهبة قد تضيع إن لم تجد من يلاحظها ويدربها ويمنحها فرصة الظهور. وفي مسار المعرفة يأتي «الأولمبياد المعرفي السوري»، وهو مسابقة وطنية في سبعة مجالات معرفية، تعتمد تصفيات متدرجة تستهدف نحو عشرة آلاف مشارك، تحت شعار «المعرفة وطنٌ نبينه». ويهدف إلى جعل المعرفة تجربة ممتعة وحافزة، وربط التفوق بالبحث والفضول والمثابرة والمنافسة الهادفة.

وبعني التمكين أن يكون الطفل مشاركاً في الفعل الثقافي، يسأل ويقترح ويجرب ويخطئ ويعيد المحاولة، ويطوّر ثقته بنفسه من خلال الحوار والعمل الجماعي، وعندها يشعر الطفل أنه مشارك في صناعة النشاط فتصبح الثقافة تخصّه، وأنّ له دوراً في إنتاجها، لا في تلقّيها فحسب. وتبقى الجودة والقياس شرطين أساسيين، فنجاح النشاط لا يُقاس بعدد الحاضرين فقط، وإنّما بما يتركه من معرفة أو مهارة وقدرة على التعبير، عبر المتابعة والتقييم والاستبيانات القبلية والبعديّة. وتقوم الشراكة والاستدامة على تكامل الأدوار مع الوزارات والمؤسسات والمنظمات والمجتمع الأهلي، وبناء شبكة من المتطوعين المؤهلين.

برامج تترجم الطموح

تتضمّن الخطة برامج وطنية مترابطة تراعي المراحل العمرية المختلفة، ففي مسار تنمية اليافعين يأتي برنامج «نماء»، وهو برنامج صيفي للفئة من أربع عشرة إلى ثمان عشرة سنة، يتضمّن ثلاثين

ويتطلّب ذلك بنية إدارية تنظّم الجهود والمسؤوليات، وتربط بين إنتاج المحتوى وتنفيذ البرامج ورعاية المواهب وتنظيم الفعاليات، بما ينقل العمل من المبادرات الفردية المتفرقة إلى مسار مؤسسي قابل للتطوير والقياس والاستمرار ثم الاستدامة. كما تمثّل الشراكات المحلية والدولية ركناً أساسياً لما تتيحه من تبادل للخبرات وتطوير للبرامج وتوسيع لفرص وصول الثقافة إلى جميع الأطفال واليافعين.

قيم حاكمة

تقوم الرؤية على خمس قيم: الهوية والانتماء، والعدالة الثقافية، والتمكين، والجودة والقياس، والشراكة والاستدامة. فالهوية والانتماء يتيحان للطفل معرفة مجتمعه وتاريخه وتراثه، واكتشاف ما يجمعه بالآخرين ضمن هوية سورية تتسع للتنوّع. أمّا العدالة الثقافية، فتضمن وصول البرامج إلى الأطفال في المحافظات والمناطق النائية، وإلى ذوي الاحتياجات الخاصة والفئات الأكثر هشاشة؛ لأنّ الثقافة حقّ لكلّ طفل.



والمجتمعيّة، وبرنامج «بناء المتطوِّع الثقافيّ» لتدريب المتطوِّعين وتحويل الحماسة الفرديّة إلى طاقة منظمّة. وتشمل الرؤية أيضاً «قصر الأطفال»، و«بيت الظلّ الثقافيّ»، و«حافلة المسرح والدّمي المتنقّلة»، التي تنقل العروض والأنشطة إلى

عمارتها ويستمعون إلى حكاياتها ويشعرون بأنّهم جزء من ذاكرتها. ولضمان الاستمرار، تعمل المديرية على مبادرات مؤسّسيّة، منها مقترح «مجلس الطّفولة الأعلى» إطاراً وطنياً لتنسيق السياسات والبرامج وربط جهود المؤسسات الرّسميّة

وتدعمه مشروعات قيد الدّراسة، مثل «تحدّي العقول»، و«بنك المعلومات الثقافيّ»، والبرنامج التّلفزيونيّ «سُفن المعرفة»، وجميعها تقدّم المعرفة في صيغ تفاعليّة. وتنظر المديرية إلى المهرجانات على أنّها مساحات تصنع ذاكرةً جمعيّةً للطّفولة السّوريّة، ويأتي في مقدّمتها «مهرجان الظّل الصّيفيّ»، الذي يستهدف نحو ثلاثمئة ألف طفل عبر الألعاب والتّجارب الثقافيّة والفنيّة والأنشطة التّفاعليّة، كما يجمع «مهرجان صيف سوريا» الفنون والقراءة والمسرح والموسيقى والعمل التّطوُّعيّ، ويختتم الموسم «مهرجان الإبداع السّوريّ» بعرض نتاجات البرامج الصّيفيّة والاحتفاء بالمتميّزين. ولا تنفصل ثقافة الطفل عن علاقته بالمكان وتراثه، لذلك تتضمّن الخطّة فعاليّات مثل «دمشق على درّاجة»، التي تتيح للأطفال واليا فعين اكتشاف أحياء المدينة القديمة ومعالمها الأثريّة من خلال تجربة ثقافيّة وحركيّة، فيرون





كلّ برنامج أسئلة أساسية: هل تعلّم الطفل مهارة جديدة؟ هل ازدادت ثقته بالتعبير؟ هل اكتشف موهبة؟ وهل أصبح أكثر ارتباطاً بمحيطه وثقافته؟ هذه الأسئلة تمنح الأرقام معناها الحقيقي.

وعُدّ قابل للقياس

تسعى المديرية إلى أن يجد كل طفل سورّي، في المدينة والريف والساحل والبادية، نافذته إلى الثقافة والإبداع، وأن تجد كلّ موهبة من يكتشفها ويرعاها، وأن يقرأ الطفل ويكتب ويرسم ويمثّل ويغني ويتكرّر، ويشعر بأنّ الثقافة جزء من حياته اليومية، تساعد على فهم ذاته ومجتمعها والمشاركة في بناء مستقبله.

فالثقافة التي تبدأ من الطفولة لا تتوقّف عندها، إنّها تكبر مع أصحابها، وتتسع بأحلامهم، حتّى تصبح وعياً راسخاً، ومهارة منتجة، وانتماء حيّاً، ووطناً يليق بهم.

للتوسّع والتّعميم، بنشر البرامج في المحافظات وتوسيع شبكة المراكز وإطلاق المركز الوطني للمواهب، وعام 2028 للتّرسّخ والقياس، بالوصول إلى المستهدفات وإجراء تقييم شامل يمهد لمرحلة إستراتيجية جديدة.

ولا تمثّل الأرقام غايةً مستقلة، فالوصول إلى مليون مستفيد يكتمل بمعرفة ما تغيّر في وعي الأطفال ومهاراتهم وعلاقتهم بالثقافة، ولهذا تعتمد الرؤية توثيق الأنشطة، ومتابعة التنفيذ، ومقارنة النتائج بالمستهدفات، واستخدام أدوات تقيس أثر البرامج في مهارات الأطفال ووعيهم وقدرتهم على التعبير والتّفاعل. فالخطة مسار حيّ يتطوّر وفق التّناج والموارد والحاجات، وتساعد نتائج القياس على تحديد مواطن القوّة والضعف، ومعرفة ما يحتاج إلى مراجعة، وما يمكن البناء عليه في المراحل التالية، بحيث تبقى البرامج قابلةً للتّطوير وفق الواقع وحاجات الأطفال المتغيرة في مختلف البيئات السورية. ويطرّح المسار بعد

المناطق التي يصعب على أطفالها الوصول إلى المراكز، وتتجاوز مهمّة المديرية فتح أبواب المؤسسات، لتصل إلى الطفل في مدرسته وحيّ وقريته، وترتبط الثقافة بتجربته اليومية.

مستهدفات ومراحل واضحة

تضع الرؤية مستهدفات حتّى عام 2028، تبدأ برفع عدد المستفيدين من نحو خمسمئة ألف عام 2026 إلى أكثر من مليون، وزيادة الأنشطة السنوية من ألفين وخمسمئة إلى أكثر من خمسة آلاف، وتوسيع المراكز الفاعلة من خمسين إلى سبعين، ورفع عدد المتطوّعين المؤهلين من خمسمئة إلى أكثر من ألفين، وتطوير الشراكات الدّولية الممولة من شراكة واحدة إلى ثلاث فأكثر. وتسير المستهدفات ضمن ثلاث مراحل: عام 2026 للتأسيس، بإطلاق البرامج الصّيفية واعتماد الهيكلية الجديدة وتشغيل نظام المتطوّعين، وعام 2027

ثقافة الطفل السوري اليوم بين الضرورة وتحفيز الإبداع

والألعاب، والمسرح، والسينما، والموسيقى، إضافةً إلى الأنشطة التفاعلية التي تتيح له التعبير عن نفسه، وثقافة الطفل لا تهدف إلى تلقينه معلومات جاهزة، بل تسعى إلى إثارة فضوله المعرفي، وتدريبه على التفكير النقدي والابتكار، ليصبح شريكاً فاعلاً في إنتاج المعنى. وبالانتقال إلى واقع الطفل السوري اليوم، فإننا نجد أنفسنا أمام حاجة ماسة إلى ثقافة من نوع خاص، ثقافة لا تنفصل عن واقعه ولكنها لا تغرق فيه، ثقافة وسطية تدأوي الجراح وتفتح نوافذ الأمل، فيها من المرونة والصدق ما فيها، حيث تعيد إليه إحساسه بالأمان، وتزرع في نفسه قيم السلام، والتسامح، وتقبل الآخر، بعد سنوات طويلة من الشروخ الاجتماعية، ثقافة تؤكد هويته وانتماءه، وتحترم نكاهه، وتعترف بألامه، وتقدم له في الوقت نفسه مساحات شاسعة للفرح والتعافي النفسي، بعيداً عن التلقين الجاف.

وهنا تبرز علاقة الطفل بالخيال لأنه أحد أهم ركائز هذه الثقافة المطلوبة، فالخيال لا يكون هروباً من الواقع، بل هو الآلية التي يستعين بها الطفل لإعادة بناء هذا الواقع وتجاوز قسوته. وبالنسبة إلى الطفل السوري الذي شهد مشاهد الدمار والنزوح، وسمع أصوات الانفجارات، يصبح الخيال ملاذاً آمناً لإعادة ترميم حطام الذاكرة وبناء عوالم بديلة مفعمة بالألوان والأمل. وإنّ تنشيط المخييلة لدى الطفل عبر القصص الخيالية والحكايات الشعبية يساعده على تطوير مهارات حل المشكلات، والتفكير في بدائل

تمثّل ثقافة الطفل حجر الأساس في بناء المجتمعات وتحديد ملامح مستقبلها، فهي ليست ترفاً فكرياً أو أنشطة هامشية تملأ أوقات الفراغ كما يعتقد بعضهم، بل هي منظومة متكاملة من القيم، والمعارف، والفنون، والسلوكيات التي يكتسبها الطفل لتساعده على فهم نفسه والعالم من حوله.

وإذا اختصرنا معنى الثقافة بمفهومه العام فسنجده البيئة الحاضنة التي تشكل وعي طفلنا، وتصقل وجدانه، وتمنحه الأدوات اللازمة للتفاعل الإيجابي مع مجتمعه، وعندما نتحدث عن الطفل السوري اليوم، فإن مفهوم الثقافة يكتسب أبعاداً أكثر عمقاً وإلحاحاً، بالنظر إلى الظروف الاستثنائية والمريرة التي عاشها ويعيشها، والتي فرضت عليه تحديات نفسية واجتماعية تفوق طاقته الغضة. فماذا نعني بثقافة الطفل؟ وأي ثقافة يحتاج إليها الطفل السوري في المرحلة الراهنة ليتجاوز آثار الأزمة النفسية التي مرّ بها وبينني ذاته؟ وما الدور الذي تؤديه مجالات الخيال، والقراءة، واللعب، والتعبير، وبناء الذائقة في تشكيل هذه الثقافة بوصفها عوامل مكفلة للتعليم المدرسي؟

في البدء، يمكن تعريف ثقافة الطفل تحديداً: بأنها كل ما يُقدّم للطفل من وسائل معرفية وفنية وأدبية تتناسب مع مرحلته العمرية، وتساهم في تنمية قدراته العقلية، والعاطفية، والاجتماعية. وتشمل هذه الثقافة الحكايات والورشات القصصية، والكتب،



نور الطباع

كاتبة وسينارست ومخرجة مسرح

**الخيال
لا يكون هروباً
من الواقع،
بل هو الآلية
التي يستعين بها
الطفل
لإعادة بناء هذا
الواقع وتجاوز
قسوته**





التعبير عن ذاته عبر مجالات متعددة كالرسم، والكتابة الإبداعية، والمسرح، والموسيقى، وتشجيع الطفل على التعبير الفني يساعده على إخراج المشاعر المكبوتة وصياغتها في أعمال إبداعية، مما يحول الطاقة السلبية والآلام النفسية إلى طاقة إنتاجية وجمايلة.

وأخيراً أقول: التعليم المدرسي في صيغته التقليدية يركز غالباً على الجانب المعرفي والأكاديمي، ويسعى إلى تزويد عقل الطفل بالحقائق والصيغ الرياضية والقواعد اللغوية لتجاوز الامتحانات الأكاديمية، ورغم أهمية هذا التعليم، فإنّه وحده لا يكفي لبناء شخصية متكاملة، وهنا يأتي دور الثقافة بمجالاتها المتنوعة لترمم ما يغفله التعليم المدرسي، وإن الاستثمار في ثقافة الطفل السوري اليوم هو استثمار حقيقي في مستقبل البلاد بأكملها، ويكون ذلك بتضافر جهود الأسرة، والمدرسة، والمؤسسات الثقافية، لتقديم ثقافة حقيقية تحتضن خيال الطفل، وتصغي لتعبيره، وتبني ذائقته، هذا هو السبيل المترقّب لإنقاذ جيل كامل من ضياع الهوية والآثار النفسية المدمرة.

كما أنّ اللعب الجماعي يعيد إدماج الأطفال الذين عانوا العزلة أو الصدمات، ويخلق بينهم روابط إنسانية قائمة على المشاركة والمتعة، ويفرغ بثحنات التوتر والقلق المتراكمة في نفوسهم. وتتيح الثقافة التفاعلية للطفل

مبتكرة، ورؤية المستقبل بنظرة تفاؤلية.

وتأتي القراءة مغذياً رئيساً لهذا الخيال، ومحوراً أساسياً في بناء الوعي، فعلاقة الطفل بالقراءة خارج إطار المنهج المدرسي الصارم تفتح أمامه آفاقاً معرفية لا نهائية، وتتيح للطفل السوري السفر عبر الزمن والمكان، والتعرف على حياة وشخصيات متنوعة، فيشعر أنه ليس وحيداً في هذا العالم. إضافة إلى ذلك، نجد أنّ القراءة تُسهم في إثراء حصيلة طفلنا اللغوية، وتمكينه من صياغة أفكاره بوضوح، مما يمنحه ثقة عالية بالنفس، وقدرة على النقاش العقلاني.

أما اللعب، فهو ليس للتسلية وملء الوقت، بل هو اللغة الطبيعية التي يتواصل بها الطفل مع العالم، وهو مختبره الأول لتعلم الحياة، ويحتاج طفلنا اليوم إلى اللعب المنظم والحر على حد سواء، أداة تعبيرية وعلاجية. فمن خلال اللعب، يتعلم الطفل كيف يتعاون مع أقرانه، وكيف يتفاوض، وكيف يتقبل الخسارة بروح رياضية، وهي مهارات اجتماعية بالغة الأهمية للمجتمع السوري في مرحلة التعافي.

**الاستثمار في ثقافة
الطفل السوري اليوم
هو استثمار حقيقي
في مستقبل البلاد
بأكملها، ويكون
ذلك بتضافر جهود
الأسرة، والمدرسة،
والمؤسسات
الثقافية.**

البيت

أول وطن في قلب الطفل

يكونوا يعرفونها من قبل.
بالنسبة إلى الكبار قد يكون الانتقال قراراً مؤقتاً تفرضه الظروف، أما بالنسبة إلى الطفل فهو عالم كامل انهار فجأة؛ لأنّ الطفل لا يقيس المكان بمساحته، وإثماً بما يخزنه من الذكريات والعلاقات والمشاعر. ومع ذلك، يمتلك الطفل قدرة مذهشة على التكيف إذا وجد من يساعده على صناعة الانتماء من جديد، فالبيت الجديد يمكن أن يصبح مألوفاً عندما تمتلئ جدرانه بالحب، والمدرسة الجديدة قد تتحوّل إلى مساحة للأمل عندما يجد فيها معلماً يبتسم له، والحيّ الجديد يصبح جزءاً من ذاكرته عندما يمنح فرصة للعب واكتشاف أصدقائه.

من هنا تأتي مسؤولية الأسرة، فهي أول من يعيد بناء علاقة الطفل بالمكان، ليس المطلوب أن تعوّضه عن كل ما فقد، فهذا مستحيل، وإثماً أن تمنحه شعوراً بأنّ الأمان يصنعه الناس قبل الأبنية، وأنّ الدّفء يسكن العلاقات قبل الجدران، إن الاحتفاظ بقصة يرويها الوالدان عن البيت الأوّل، أو إعداد ركن صغير يختاره الطفل بنفسه، قد تكون تفاصيل بسيطة، لكنّها تبني في داخله جذوراً جديدة للحياة.

ولا تقلّ المدرسة أهميّة عن الأسرة في هذا الجانب، فحين تتيح للطفل أن يعبر بالرّسم أو الكتابة أو المسرح عن ذكرياته، فإنّها لا تستدعي الحزن، بل تساعد على ترتيب مشاعره، وتحويل التجربة إلى قوة داخلية، إنّ الطفل الذي يحكي حكايته يتخفّف من ثقلها، والطفل الذي يرسم بيته لا يرسم

لا يبدأ انتماء الطفل إلى وطنه من قراءة خريطة، ولا من حفظ أسماء المدن والأنهار، بل يبدأ من زاوية صغيرة في بيته، ومن رائحة الخبز التي تملأ الصباح، ومن النافذة التي يراقب منها المارّة، ومن الطريق الذي يسلكه إلى مدرسته، ومن الشجرة التي اعتاد أن يلعب تحت ظلّها، فالمكان بالنسبة إلى الطفل ليس مساحة هندسيّة تحدّها الجدران والظرفات، بل هو وعاء للمشاعر، ومستودع للذكريات، ومرآة تتشكّل فيها هوّيته الأولى.

يولد الطفل وهو يبحث عن الأمان، ويجد هذا الأمان في حضن أمّه، ثمّ يتّسع هذا الحضن ليصبح بيتاً، ثم حيّاً، ثم مدينة، ثم وطناً كاملاً، ولهذا فإن علاقة الطفل بالمكان ليست علاقة استخدام، بل علاقة انتماء، وكلّما شعر بأنّ المكان يحبه ويحميه ويحتويه، نما داخله شعور الاستقرار والثقة والطمأنينة.

لقد أثبتت التجارب التربويّة أنّ الطفل الذي يعيش في بيئة مستقرّة، يعرف تفاصيلها ويحفظ وجوه أهلها وأصواتها وروائحها، يكون أكثر قدرة على بناء علاقات اجتماعيّة صحيّة، وأكثر استعداداً للتعلّم والإبداع، أما الطفل الذي تتركّز في حياته الانتقالات القسريّة، أو يفقد منزله ومدرسته وحيّه، فإنّه لا يخسر جدراناً فحسب، بل يخسر جزءاً من ذاكرته ومن إحساسه بالثبات.

وقد غرقت سوريا خلال السّنوات الماضية تجرّية قاسية، اضطرّ فيها كثيرٌ من الأطفال إلى مغادرة بيوتهم وأحيائهم ومدارسهم، وانتقلوا من أماكن إلى أخرى، وربّما عبروا حدوداً لم



نورة علي دقدوقة

كاتبة وصحفية سورية
مهتمّة بعلم الاجتماع

تؤدي المراكز الثقافية دوراً بالغ الأهمية في إعادة وصل الطفل بمحيطه، فهي ليست أماكن لتقديم الأنشطة فحسب، بل فضاءات تصنع ذاكرة جديدة، وتمنح الطفل فرصة ليكتشف مدينته





ليست مجرد واجبات مدرسية، بل هي بناء لذاكرة شخصية تحفظ تفاصيل الحياة، وتؤكد أنّ لكلّ إنسان مكاناً يسكن قلبه.

إنّ الطفل الذي يعرف قيمة المكان، يكبر وهو أكثر حرصاً على مجتمعه، وأكثر احتراماً للمرافق العامة، وأكثر إحساساً بالمسؤولية تجاه بيئته، فحبّ الوطن لا يبدأ بالشعارات، وإثماً يبدأ حين يتعلّم الطفل أن يحافظ على حديقة حيّه، وأن يحبّ مدرسته، وأن يشعر بأنّ الشارع الذي يسير فيه جزء من هويته.

وفي النهاية، قد تتبدّل البيوت، وقد تتغيّر المدن، وقد تفرض الحياة على الإنسان أن يغادر مكاناً أحبه، لكنّ ما يغرسه المربّون في قلب الطفل من شعور بالأمان والانتماء يبقى قادراً على أن يرافقه أينما ذهب، فالأماكن قد تسكن الذاكرة، لكنّ الأجمل أن تسكن القيم في الإنسان، وحين يحمل الطفل وطنه في قلبه، يصبح قادراً على أن يصنع الألفة، ويبني الحياة، ويزرع الأمل في كلّ مكان يجلّ فيه.

والرسم، كأن يكتب كلّ طفل عن بيته، أو يصف شارعاً، أو يحكي عن شجرة يحبّها، أو عن نافذة اعتاد أن يقف عندها، فهذه الكتابات الصغيرة

**قد تتبدّل البيوت،
وقد تتغيّر المدن،
وقد تفرض الحياة
على الإنسان أن يغادر
مكاناً أحبه، لكنّ ما
يغرسه المربّون في
قلب الطفل من شعور
بالأمان والانتماء يبقى
قادراً على أن يرافقه
أينما ذهب**

حجارة، بل يرسم شعوره بالانتماء. كما تؤدّي المراكز الثقافية دوراً بالغ الأهمية في إعادة وصل الطفل بمحيطه، فهي ليست أماكن لتقديم الأنشطة فحسب، بل فضاءات تصنع ذاكرة جديدة، وتمنح الطفل فرصة ليكتشف مدينته، ويقرأ قصصها، ويكتب عنها، ويرسم معالمها، ويشارك في أنشطة تعرّفه بتاريخها وتراثها، وحين يشعر الطفل أنّه جزء من هذا المكان، يتحوّل من متلقٍ إلى شريك في بنائه والمحافظة عليه. إنّ القراءة تبني كذلك علاقة عميقة بين الطفل والمكان، فالقصص التي تتحدّث عن البيوت القديمة، والأسواق، والقرى، والأحياء، والحدايق، تحفظ ذاكرة المدن في وجدان الأطفال، وتربطهم بتاريخهم الثقافي، ولذلك فإنّ الكتاب ليس وسيلة للمعرفة فحسب، بل جسر يصل الطفل بجذوره، حتّى إن باعدت بينه وبينها الظروف.

ومن الجميل أن نشجّع الأطفال على توثيق أمكنتهم بالكلمة والصورة

حين يصبح الفن ملاذاً.. الثقافة التفاعلية واستعادة صوت الطفل من التلقي إلى المشاركة

لا صوت المتلقي الذي يصفق في نهاية العرض، بل صوت الشريك الذي يقترح، ويضيف، ويعترض، ويعلم. والإجابة تكمن في الانتقال الجوهري من «ثقافة التلقي» إلى «ثقافة المشاركة»، حيث يتحول الطفل من مشاهد إلى فاعل، ومن مستمع إلى حكا.

لنأخذ الحكاية مثلاً.. الجلسات التقليدية للقراءة بصوت مرتفع مفيدة بلا شك، لكنها تبقى ناقصة إن لم تتبع بورشة حكاية تفاعلية. في أحد الأنشطة، بدأ الميسر برواية قصة شعبية عن طائر فقد عشه، ثم توقف عند ذروة الحكاية وسأل الأطفال: «ماذا يفعل الطائر الآن؟ كيف يبني عشاً من جديد؟». وزع عليهم قطع قماش وخيوطاً وورقاً، وطلب منهم أن يبنوا «العش» بأنفسهم.

الإبداع لا يكمن في المنتج النهائي، بل في الحوار الذي يدور بين أيديهم: «لنضع غطاءً كي لا يصل المطر»، «لا، يجب أن يكون الباب كبيراً كي يدخل أصدقاؤه». بهذه البساطة، تعيد الحكاية التفاعلية للطفل الإحساس بأنه قادر على ترميم ما تهدم، ليس في القصة فحسب، بل في الحياة كذلك. إنها تقدم له استعارة آمنة لخسارته، وتسمح له بأن يصبح بطلاً قادراً على تغيير النهايات، ولو على سبيل الرمز. وإذا تجاوزنا الحكاية إلى المسرح التفاعلي، نكتشف أداة أقوى.. لا تحدث هنا عن مسرح الأطفال الذي يُعرض بخشبة وستارة، بل عن «الدراما التشاركية». في إحدى الجلسات مع مجموعة من الأطفال التازجين، طلب منهم تشكيل «مدينة الأحلام»

في زاوية منسية من مخيم مؤقت، جلست طفلة في الثامنة من عمرها، تمسك بورقة بيضاء وكأنها تتحسس أماناً مفقوداً، لم تكن تريد أن نقرأ لها قصة، ولا أن نشغل لها أغنية، لكنها أرادت أن ترسم. وعندما انتهت، لم تقدم لنا رسماً جميلاً، بل قدمت مشهداً كاملاً.. بيت بلا سقف، وشمس بلا لون، وفي الزاوية السفلى زهرة صغيرة تقف وحيدة، وحين سألتها: «من يسكن هذا البيت؟» أجابت بصوت خافت: «نحن، قبل أن يصبح البيت سماء». مختزلةً إحساسها النفسي بأنها صارت بلا غطاء، ولا حماية، مكشوفة على ذاكرة مؤلمة لا سائر لها.

في تلك اللحظة، لم تكن الطفلة تتلقى ثقافة ولا تستهلك فناً، بل كانت تمارس أبسط أشكال التعبير الإنساني وأعمقها.. كانت تستخدم الرسم كي تقول ما تعجز اللغة عن قوله. وهذا هو جوهر ما نسقيه «الثقافة التفاعلية»، فهي ليست ترفاً ولا نشاطاً إضافياً، بل حاجة وجودية للطفل الذي صمت طويلاً تحت وطأة الحرب والتهمير.

في سياقات النزوح، كثيراً ما يُنظر إلى الطفل على أنه وعاء فارغ يجب ملؤه بالمعلومات، أو روح جريح يجب «إصلاحها» بالدعم النفسي المباشر. غير أن تجربتي الميدانية في الدعم النفسي الاجتماعي علمتني أن الطفل ليس كائناً سلبياً، بل هو إنسان مكتنز بقصص لم تُرو، وبصور عالقة تحتاج إلى مساحة آمنة كي تخرج إلى العلن. إن السؤال الملح دائماً هو: كيف يمكن للثقافة أن تعيد للطفل صوته؟



رغد بوظو

معالجة نفسية
ماجستير في الصحة النفسية

إنَّ السؤال الملح دائماً هو:
كيف يمكن للثقافة أن تعيد للطفل صوته؟
لا صوت المتلقي الذي يصفق في نهاية العرض، بل صوت الشريك





بأجسادهم. وقف طفلٌ رافعاً ذراعه ليكون مئذنة، وتمدّد آخر على الأرض ليكون نهراً، بينما تشابكت أيدي ثلاثة أطفال ليشكلوا جسراً. كانت مفاجأة القائمين على النشاط أن هذا الجسر، في مخيلة الصغار، لا يربط ضفتي نهر، بل «يربط البيت القديم بالبيت الجديد»، هنا، لا يسأل الميسر الطفل عن صدمته بفجاجة، بل يمنحه المسرح قناعاً آمناً.

من خلال الجسد والصوت والحركة، يعيد الطفل بناء جغرافيته المفقودة، ويستعيد شعوراً بالانتماء والسيطرة على فضاء انتزع منه مرتين.. مرّة بالتهجير القسري، ومرّة بصمت الكبار وعجزهم عن فهم عالمه الداخلي. أمّا الرسم واللعب، فهما أقرب إلى لغة الطفل الأم، لكنّ السحر لا يحدث في الرسم الحرّ وحده، بل في التداخلات البسيطة التي تحوّله إلى حوار.

في ورشة بعنوان «بيتنا»، طلب من كلّ طفل أن يرسم بيته الذي يتذكّره. الدموع حضرت، وكذلك الضحك الممزوج بحنين. بعد ذلك، طلب منه قلب الورقة، وقيل له: «الآن ارسم البيت الذي تتمناه».

تحوّلت الخطوط القاتمة تدريجياً إلى ألوان، وتحول السكون إلى حركة وشرح. طفل رسم نافذة كبيرة «كي يدخل الضوء ويطرد الخوف»، وآخر أضاف قفص عصافير «كي لا يكون البيت صامتاً». هذا النشاط البسيط، القابل للتطبيق في أي مكان بموارد متواضعة، يعلمنا درساً بالغاً: أنّ الطفل حين يشارك في إنتاج الصورة، فإنّه يعيد إنتاج علاقته بالعالم.

الثقافة هنا ليست سلعة تُمنح، بل فعلٌ حواريّ يعيد بناء الثقة، ليس بين الطفل والميسر فحسب، بل بين الطفل ونفسه وبينه وبين مستقبله. إنّ ما يربط هذه الأنشطة كلّها – الحكاية، والمسرح، والرسم، واللعب – هو أنّها تعيد تعريف الثقافة من كونها ترفاً نخبوتياً أو أداة تعليم جافة، إلى كونها «مساحة انتقالية» بمصطلح عالم النفس ونيكوت، أي منطقة وسطى بين الواقع الداخلي للطفل والخارج القاسي، حيث يمكنه أن يختبر

مجتمعاً مصغراً يختبر فيه الطفل المواطنة والتسامح والعمل الجماعي. حين يتفق خمسة أطفال على رسم نهاية لقصة، فإنّهم يمارسون الديمقراطية، وحين يبني طفل جسراً بجسده رفقة آخرين، فإنّه يزرع في داخله إمكانية العبور، وإمكانية أن يكون للجسور معنى.

إنّ الطفل الذي عاش التفكك يحتاج إلى ما يذكّره بقدرته على البناء، والطفل الذي فقد صوته يحتاج إلى من يصقّ لجرائته لا لجمال صوته. الثقافة التفاعلية، إذن، ليست بحثاً عن مواهب مدفونة، ولا إلهاء مؤقتاً عن الألم، بل هي إعادة تفعيل للذات الإنسانية في أكثر لحظاتها هشاشة.. إنّها دعوة لأن نتوقف عن سؤال الطفل «ماذا تعلّمت اليوم؟»، ونبدأ بسؤاله «ماذا تريد أن تصنع؟ وكيف يمكنني مساعدتك؟». هناك، في تلك اللحظة من الاعتراف المتبادل، يبدأ الحكي الحقيقي، ويبدأ التعافي.

الأمان ويعيد ترتيب فوضاه.
الورشة التفاعلية، بضجيحها
وأسئلتها وفوضاها الخلاقة، تخلق



**الثقافة التفاعلية
ليست بحثاً عن
مواهب مدفونة، ولا
إلهاء مؤقتاً عن الألم،
بل هي إعادة تفعيل
للذات الإنسانية في
أكثر لحظاتها هشاشة.
إنّها دعوة لأن نتوقف
عن سؤال الطفل:
ماذا تعلّمت اليوم؟**

قبر اليراعات المضيئة

لماذا كان عليهم أن يموتوا بهذه السرعة؟



ولا يخفى على أيّ قارئ أو مشاهد أن «ستسوكو» الصغيرة ومن خلفها الكاتب والمخرج وصاحب المذكرات الأصلية، يتساءلون جميعاً: لماذا كان على الأطفال الأبرياء أن يموتوا في الحرب؟ لماذا لم يحمهم الكبار؟ لماذا لم تميّز القذيفة بينهم وبين الكبار؟ لماذا لم تميّز القذيفة بينهم وبين غيرهم؟ لماذا لم تميّز قذائف اللهب الأمريكية الأطفال في منازل الخشب، وأدت إلى مقتل أعداد من المدنيين في مدينة كوبي وغيرها، أكثر مما أودت به القنبلتان الذريّتان معاً؟

يتسع السؤال هنا ليتجاوز اليابان نحو أطفال الحولة والبياضة والغوطة والتريمسة وحمص وإدلب ودير الزور: لماذا كان عليهم أن يموتوا ذباً وقصفاً



شادي خدام الجامع

صحفي مخرج

وآلامها، بل كان مرآةً رفعها المجتمع الياباني أمام وجهه ليرى تلك الأشياء التي أمضى عقوداً محاولاً إخفاءها.

تقول ستسوكو الصغيرة: «لماذا على اليراعات المضيئة أن تموت بهذه السرعة؟»، تطرح سؤالها هذا بعد أن راقبت اليراعات المضيئة ليلاً وهي تحوم حول النار ثمّ تموت. هذا السؤال الصغير في عدد كلماته، الكبير في معانيه، يُعدّ من أهم اقتباسات السينما في العصر الحديث، إذ فتح باباً للنقاش المجتمعي والنقد الذاتي داخل المجتمع الياباني بعد أكثر من أربعين عاماً على خسارة الحرب.

سؤالٌ بالغ الأهمية ضمن سياق فلمٍ بات اليوم من أيقونات السينما اليابانية المناهضة للحرب «قبر اليراعات المضيئة». لم يكن الفلم مجرد عمل فني يستعيد ذاكرة الحرب



هنا يبرز سؤال آخر تثيره نشرات الأخبار ومؤسسات الإعلام التي تتعامل مع ضحايانا بوصفها أرقاماً فحسب: كيف علينا أن نتذكر ضحايانا؟ كيف علينا أن نتذكر قصصهم؟ كيف سنروي حكاياتهم وآلامهم وأوجاعهم للأجيال القادمة، كيف سنتحدث عن ساعات التعذيب والشبح والإذلال والقتل والدفن والمجازر الجماعية؟ كيف سنروي لأجيالنا المستقبلية قصة أطفال الدكتورة رانيا العباسي الستة؟ كيف سنحكي لحظاتهم الأخيرة قبل أن يقتلهم أمجد يوسف ويرميهم جثثاً هامة في حفرة التضامن؟ كيف سنقول حكاياتهم وهم كانوا كالبراعات المضيفة التي كانت تحوم حول النار، ولم يكن لهم أي ذنب سوى أنهم كانوا حولها فقط؟ لماذا كان عليهم أن يموتوا بهذه السرعة؟ يقول المخرج «أيزاو تاكاهاتا» إنه في لحظات معينة توقف وتردد خلال صناعة الفيلم، ولم يعرف لم كان عليه أن يكمل هذا العمل. لكن «هاياو ميازاكي»، وهو الشريك المؤسس في أستوديوهات «غيبلي» قال له «إن لم تصنع هذا الفيلم اليوم، فلن تتاح لك بالتأكيد فرصة أخرى في المستقبل لصناعة فلم كهذا».

وهنا يأتي شرط الزمان الملغى فالانتظار حتى تستقر الأمور وتُهيأ الشروط المناسبة للإنتاج قد يُخمد ذاكرة مشبعة بالدم والنار والحديد ويطمس معها التفاصيل والأسئلة. جميع تلك الأسئلة لا تدفعنا إلى إجابات جاهزة معلبة، بل إلى أسئلة أخرى تنتظر الإجابة، والشرح، والتفصيل، والبكاء.

لماذا علينا أن نتذكر كل هذا؟ لماذا علينا أن نحفظه عن ظهر قلب، ونحكي قصصاً وحكايا عن دور عزاء فُتحت ولم تُغلق؟ هذا ما يجب أن تجيب عنه السينما السورية في سنواتها القادمة؛ لأنّ الذاكرة التي لا تُروى تموت، كما ينطفئ ضوء اليراعات حين تبتعد عن النور.



الحرب بسبب الجوع والمرض والإهمال، إثر فقدانهم لذويهم جراء الغارات الأمريكية التي أحرقت مدناً كاملة كانت منازلها من الخشب. أستوديو «غيبلي» الياباني، الأشهر عالمياً في صناعة أفلام الأنيمي، أعاد من خلال قصة «نوساكا» فتح قضايا شائكة أفضت إلى موجة جديدة من النقد لثقافة المجتمع الياباني الصارمة، تلك الثقافة التي مات بسببها آلاف الأطفال في ظاهرة عُرفت بـ «أيتام الحرب»، أطفال فقدوا ذويهم ولم يُعَلِّمهم أحد، كانوا بالآلاف، فيما كانت وسائل الإعلام تتعامل معهم على أنهم أرقام وإحصائيات لا بشر كانت لهم حيوات كاملة وعائلات أخذت منهم بسبب الحرب.



وحرقاً، واختناقاً بالسارين، والكيماوي، والبراميل؟ لماذا؟

هذا التوسع الجغرافي في السؤال ليس استعارة أدبية فحسب، بل هو جوهر ما تفعله الأعمال الفنية الخالدة، تكسر حدود زمانها ومكانها لتصبح لغة مشتركة للألم الإنساني، فطفل مدينة كوبي اليابانية المحترق عام 1945 وطفل الغوطة المختنق عام 2013 لا يجمعهما التاريخ أو الجغرافيا، بل يجمعهما السؤال ذاته: لماذا لم نحِم الأطفال؟

هذه الأسئلة والعديد من إجاباتها الفلسفية والنفسية والاجتماعية ستبقى كحراً على مراكز الأبحاث والأكاديميين، وبعيدة عن الوعي الجمعي الشعبي. وهنا بالضبط يبرز دور السينما والدراما والأعمال الفنية، لتعيد طرح هذه الأسئلة وتبحث عن إجابات على صعيد الذاكرة الجمعية. لماذا قتل بشار الأسد مئات الآلاف من السوريين، ودفع ملايين آخرين إلى النزوح واللجوء والتهجير؟ من أجل ماذا كان كل ذلك؟ ولماذا اصطف خلفه من لم يمنحهم حتى كفاف يومهم؟ لماذا اضطررنا إلى الهجرة من بيوتنا وقرانا ومدننا؟ ولماذا حُرِم أطفالنا في الزبداني، تحت أنظار العالم، من زجاجة حليب واحدة؟ ولماذا نحمل عبء أسئلة الماضي فيما لا يزال كاهلنا مثقلاً بجراح الحرب التي شنها الأسد علينا؟

هذه الأسئلة ليست مجرد أسئلة فارغة، إنها الأسئلة التي يحملها كل سوري في وطنه ومنفاه، وكل عائلة تجلس إلى طاولة طعام ينقصها فرد أو اثنان من أبنائها، هذه الأسئلة التي تظهر في لحظات الصمت بين الجمل، في التوقف المفاجئ وسط حديث عادي حين يتذكر أحدهم فجأة اسماً أو صوتاً أو رائحة بيت لن يعود إليه.

يقول الكاتب الياباني «أكيبوكي نوساكا» إنه كتب مذكراته اعتذاراً لأخته الحقيقية ذات السنوات الأربع التي فقدتها خلال

متحف جيرود

تأخذنا «عدسة

من ثقافتنا» إلى بيت جيرودي قديم عند سفح القلمون، يحفظ ملامح حياة أهل المنطقة وذاكرتهم. يضمّ متحف جيرود الخاص آلاف المقتنيات التي جُمعت على مدى عقود من جيرود ومناطق القلمون؛ من أدوات الزراعة والحرف إلى الأواني المنزلية وأدوات النسيج. وبين أقسام البيت وساحته، تروي الأشياء تفاصيل حياة سبقت زمن المكننة، وحفظتها الأجيال من الضياع.

ذاكرة
جديدة





القلمون يحفظ أسرارهِ

متحف جيرود الخاص

مرآة لحياة مضت وذاكرة باقية

ميس العاني

حين تطأ قدمك بلدة جيرود الرابضة على سفح القلمون، ستشعر بأن الزمن هناك يسير بوتيرة مختلفة، فالبيوت الحجرية العتيقة لا تحكي قصة عمرانها فحسب، بل تهمس بحكايات من عاشوا فيها، وبأدوات صنعت بأيديهم، وبحياة جرت في تفاصيلها اليومية كما يجري الماء في جداولها القديمة. وفي أحد تلك البيوت، ولد متحف جيرود الخاص للتراث الشعبي، ليكون أول متحف خاص من نوعه في سوريا، وأول ثمرة لمشروع وطني واع لحماية الذاكرة الجمعية من النسيان. ولم تكن فكرة المتحف وليدة لحظة، بل نبعت من إيمان راسخ في وجدان الحاج محمود قاسم نعنوس أحد أبناء المنطقة منذ سبعينيات القرن الماضي، حين أدرك أن التراث الشعبي ليس مجرد أدوات بالية يمكن التخلص منها، بل هو الجسر الذي يصل الإنسان بجذوره، والحامل الأمين لهويته التي تضيع بضياع تفاصيله.

ذاكرة جيرود، يؤكد محمد نعنوس أنه يصعب اختيار قطعة واحدة تختصر ذاكرة جيرود؛ لأن المتحف بُني ليكون رواية متكاملة عن حياة أهلها.

ومع ذلك، فإن البيت الجيرودي القديم بأقسامه وساحته وما يضمه من أدوات الحياة اليومية والحرف التقليدية، يمثل برأيهم القلب النابض للمتحف، لأنه يعكس البيئة التي عاش فيها أبناء جيرود بكل تفاصيلها الإنسانية والاجتماعية، ويجسد أسلوب الحياة الذي مثل هوية المنطقة عقوداً طويلة.

ويضيف أن المتحف يضم مقتنيات كان يستخدمها الفلاح القديم والحديث في أعماله الزراعية من أدوات معدنية وخشبية وحجرية وجلدية، إضافة إلى الأدوات المنزلية المتعددة الاستعمالات من فخارية ونحاسية وغذائية ونسجية، وهي جميعاً تجسّد ذاكرة المدينة وحياة أهلها في العصور السابقة التي سبقت عصرنا الحديث القائم على الآلات والتكنولوجيا.



رضوان نعنوس

مناطق القلمون، وكلما عثرنا على قطعة ترتبط بتاريخ منطقتنا أو تجسد جانباً من تراثها، حرصنا على اقتنائها وإعادتها إلى موطنها. ويضم المتحف اليوم آلاف القطع التي توثق تفاصيل الحياة السورية، وتحفظ ذاكرة أجيال متعاقبة للأجيال القادمة. وعن القطعة أو الركن الذي يختصر

البيت الجيرودي القديم رواية متكاملة عن حياة الأجداد

يقول رضوان نعنوس، أحد أبناء عائلة النعنوس القائمين على المتحف لـ «مجلة الشام»: بدأت فكرة المتحف مع المرحوم الحاج محمود قاسم نعنوس (أبو مروان)، الذي آمن منذ سبعينيات القرن الماضي بأن التراث هو ذاكرة الشعوب وجذورها. وبحكم عمله في التجارة، كان يحرص على اقتناء القطع النادرة التي تمثل تاريخ جيرود ومنطقة القلمون، حفاظاً عليها من الضياع والاندثار. وبعد وفاته، تابعنا -نحن أبناءه رضوان ومروان ومحمد نعنوس- حمل هذه الرسالة، فواصلنا جمع المقتنيات، وترميم الدار التاريخية، وتوسعة المشروع، حتى أصبح اليوم أول متحف خاص للتراث الشعبي في سوريا. أما المقتنيات، فقد جُمعت على مدى عقود من مدينة جيرود ومختلف





تراثي خاص يُفتتح في سوريا بعد التحرير.

وفي سياق الدور الذي تؤديه الوزارة في دعم هذه المبادرات وتنظيمها، يؤكد أمين سر مكتب نائب وزير الثقافة أحمد خنوس لـ «مجلة الشام» أن الوزارة تؤمن بأن المبادرات الأهلية هي خط الدفاع الأول عن التراث الشعبي؛ لأنها تنطلق من ارتباط المجتمع بذاكرته وهويته. ويشير إلى أن تنظيم المتاحف الخاصة والإشراف عليها يسهم في الحفاظ على المقتنيات وفق معايير علمية ومهنية، ويضمن توثيقها وصيانتها وعرضها بصورة تحترم قيمتها التاريخية والثقافية، كما يعزز ثقة الزوار والباحثين بهذه المؤسسات، ويشجع أصحاب المبادرات على الاستثمار في حفظ التراث ضمن إطار قانوني واضح.

وتلقت خنوس إلى أن التعاون بين المتاحف الخاصة والجهات الثقافية المختصة يحقق هدفاً مشتركاً يتمثل



أحمد خنوس

وزير الثقافة سعد نعلان، إلى جانب عدد من السفراء وممثلي البعثات الدبلوماسية والشخصيات الثقافية. وجاء الافتتاح في إطار قرار وزارة الثقافة الصادر في الثاني والعشرين من تموز 2025، بشأن إحداث متاحف التراثية والفنية والشعبية الخاصة وإدارتها وآلية الإشراف عليها، فغداً متحف جيرود أول متحف

المبادرات الأهلية خط الدفاع الأول عن التراث

وفي وقت تزداد فيه التحديات التي تواجه التراث السوري، تأتي تجربة متحف جيرود الخاص لتؤكد أن المبادرات الأهلية تعدّ خط الدفاع الأول عن الذاكرة الوطنية.

فالمتحف، الذي بدأ بمبادرة عائلية امتدت عقوداً، تحوّل اليوم إلى مؤسسة ثقافية مفتوحة أمام الجمهور، تتجاوز أهدافها حفظ المقتنيات وعرضها إلى تعريف الأجيال الجديدة بالعادات والتقاليد وأنماط الحياة التي عاشها الأجداد.

وتُوجّه هذا المسار في الأول من تموز 2026، حين افتتح وزير الثقافة محمد ياسين الصالح المتحف رسمياً، بحضور رسمي ودبلوماسي عربي ودولي رفيع المستوى، تقدّمه وزير الثقافة القطري الشيخ عبد الرحمن بن حمد آل ثاني، ووزير الطوارئ وإدارة الكوارث رائد الصالح، ونائب

وهذه تعتبر من ذاكرة المدينة وحياة أهلها في العصور السابقة والتي سبقت عصرنا الحديث الذي يعتمد على الآلات والتكنولوجيا الحديثة.

ويؤكد عقيل أن البلدات والمدن السورية بحاجة ماسة إلى متاحف وطنية أو متاحف محلية؛ لأنها تحافظ على التاريخ والتراث الثقافي وتبرزه للناس حتى لا تنقطع الصلة بين أفراد شعبنا وبين ماضيهم المشترك.

ويختتم بالقول:

إن المتاحف تعمل على صون التراث المادي واللامادي من خلال جمع القطع الأثرية والأدوات التقليدية والمخطوطات مما يحمي الهوية الوطنية من الضياع، فهذه المتاحف هي خريطة ذكريات الشعوب.. تعزز الهوية الوطنية وتنشط الاقتصاد عبر جذب السياح، كما أنها تقدم بيئة تعليمية تساعد على التعرف إلى تاريخنا وهوية بلادنا وتعزز الوعي بأهمية التراث وتشجع على المحافظة عليه، وتربط الأجيال الحديثة بالماضي المشترك وتنشر الوعي بالمووروث الثقافي.



نور الدين عقيلي

من مواد غذائية وحاجيات التجار، إذ كانت قابضة قرب بحيرة مائية عذبة، ممّا جعلها غنية بالموارد الزراعية التي تؤمن مستلزمات المارة والمسافرين والتجار، ولذلك فإن غالب مقتنيات متحف جيروود الحديث هي وسائل كان يستخدمها الفلاح القديم والحديث في أعماله الزراعية من أدوات معدنية وخشبية وحجرية وجلدية، إضافة إلى الأدوات المنزلية المتعددة الاستعمالات من فخارية ونحاسية وغذائية ونسجية،

في صون التراث السوري وإتاحته للجمهور بطريقة تليق بأهميته الثقافية.

المتاحف المحلية خريطة ذكريات الشعوب

لا يمكن فهم أهمية متحف جيروود الخاص بمعزل عن السياق الأوسع الذي تعيشه المدن والبلدات السورية، التي باتت بحاجة ماسة إلى متاحف وطنية أو محلية تحافظ على تاريخها وتراثها الثقافي، وتُقي الصلة قائمة بين أفراد الشعب وماضيهم المشترك. ويشير الباحث المهتم بالتراث الشعبي من جيروود نور الدين عقيل لـ «مجلة الشام»، إلى أن بلدة جيروود بموقعها الجغرافي والإستراتيجي القديم كانت إحدى محطات التجارة العالمية، وهذه المحطات التجارية القديمة أدت دوراً في ربط الشعوب والحضارات وتأمين القوافل التجارية، حيث كانت توقّر الأمان والمأوى للتجار ومكاناً للراحة. ويضيف، أنّ جيروود كانت تؤمن مستلزمات هذه القوافل



دمشق

للتقافة والفكر والفنون والتنمية



وزارة الثقافة
MINISTRY OF CULTURE

إعادة تأهيل مرسوم فاتح المدرس

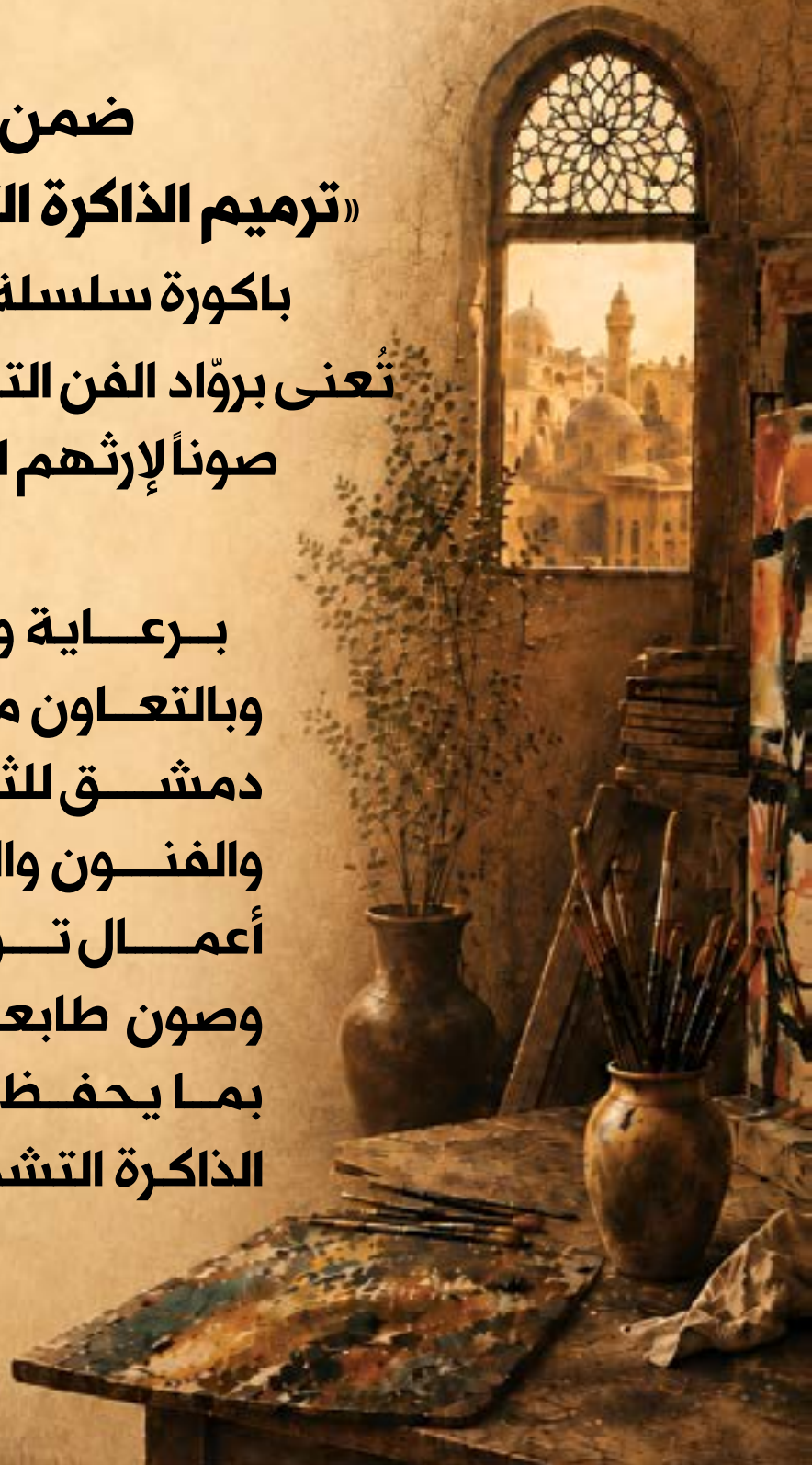
ضمن مشروع

«ترميم الذاكرة التشكيلية السورية»

باكورة سلسلة من المشروعات

تُعنى برواد الفن التشكيلي السوري الكبار
صوناً لإرثهم الملهم للأجيال.

برعاية وزارة الثقافة،
وبالتعاون مع مؤسسة
دمشق للثقافة والفكر
والفنون والتنمية، تُنفَّذ
أعمال ترميم المرسوم
وصون طابعه ومحتوياته،
بما يحفظ مكانته في
الذاكرة التشكيلية السورية.



الشيخ محمد عيد العباسي

تسعة عقود بين العلم والسجن والفقد

1 من 2

حاوره: تيم الحاج ومريم حجير

حين يمتد عمر الإنسان من طفولة سبقت جلاء القوات الفرنسية عن سوريا بسنوات قليلة، إلى سوريا التي خرجت، بعد عقود، من حكم الأسد المخلوع، تصبح السيرة الشخصية مدخلاً إلى قراءة جانب من تاريخ البلاد أيضاً. وُلد الشيخ محمد عيد العباسي في دمشق عام 1938، ونشأ في حي ركن الدين بين مسجد الحارة ومدارس المدينة وحلقات علمائها، وحفظ القرآن الكريم في الرابعة عشرة من عمره. عرّف ملا رمضان البوطي وأحمد كفتارو وحسن حبنكة الميداني وسعيد البرهاني، ثم التقى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ولازمه سنوات طويلة، ورافقه في رحلات متكررة للدعوة ونشر العلم في عدد من المدن السورية، وفي زيارات لعدد من الدول العربية.

درس اللغة العربية، لما رآه فيها من مفتاح لفهم القرآن والحديث وعلوم الشريعة والتراث الإسلامي، ثم عمل مدرساً وتنقل بين عدد من المدن والمناطق السورية، في وقت كانت فيه البلاد تعبر تحولات سياسية متلاحقة، من سنوات الاستقلال، إلى الوحدة والانفصال، ثم استيلاء حزب البعث على السلطة وما رافق ذلك من تغيرات عميقة في الحياة السياسية والاجتماعية. وفي عام 1980 دخل فصلاً آخر من حياته حين اعتقل، ليقضي ثلاثة عشر عاماً في السجن، بينها نحو أربع سنوات في الحبس الانفرادي، ثم سنوات في سجن تدمر. هناك عاش العزلة والتعذيب والمراقبة والخوف، وشهد الإعدامات التي كانت تقع بصورة مفاجئة، لكنه شهد أيضاً كيف استطاع المعتقلون أن يصنعوا، وسط تلك القسوة، مساحات للعلم وحفظ القرآن والشعر والتكافل فيما بينهم.

ولم يخرج من السجن بالذكريات وحدها؛ فقد تركت تجربة الاعتقال لديه جملة من المراجعات والدروس، من بينها إدراكه لطبيعة نظام الأسد الذي واجهه، وقناعته بأن اعتقال العلماء والرجال والنساء والأطفال تجاوز كل اعتبار قانوني وإنساني، فكشف حقيقة ذلك النظام وعزاه أمام السوريين.

كما أعاد النظر في بعض قراراته الشخصية، فقد تمكّن قبل اعتقاله من الهرب، لكنه قرر بعد ثلاثة أيام العودة وتسليم نفسه، وهو قرار عذّه لاحقاً خطأً. واستخلص منه درساً ظل يردده: أن القرارات المصيرية تحتاج إلى التروي والمشورة، وألا يتخذ الإنسان قراراً تحت وطأة الاستعجال دون أن يقدر عواقبه.

وفي السجن أيضاً تعمّق لديه معنى الصبر؛ أن الظروف مهما اشتدت فلا ينبغي أن تقود الإنسان إلى اليأس، وأن الفرج والنصر قد يتأخران، لكن تأخرهما لا يعني غيابهما، وأن لكل تأخير حكمة قد لا يدركها الإنسان في حينها.

ومن ثمار تلك السنوات أنه تمكّن من تثبيت حفظه للقرآن، وفتح له ذلك باباً إلى تعليم غيره؛ إذ أسهم في تحفيظ القرآن لعدد من رفاقه المعتقلين، وهو ما ظل يُعذه واحداً من وجوه الخير التي خرج بها من تجربة شديدة القسوة.

وعلاقة الأسرة بالسجن والفقد لم تنته بخروجه، ففي آذار 2013 اعتقل النظام البائد ابنته طيبة الأسنان وبطلة الشطرنج رانيا العباسي، مع زوجها عبد الرحمن ياسين وأطفالهما الستة، لتبدأ الأسرة رحلة بحث امتدت ثلاثة عشر عاماً، قبل أن تقودها متابعتها والمواد المصوّرة التي وصلت إليها إلى معرفة المصير القاسي للأطفال.

في هذا الحوار مع «مجلة الشام»، يعود الشيخ محمد عيد العباسي إلى دمشق الأولى، وإلى العلماء والمدارس ورحلات العلم، وإلى التحولات السياسية التي عبرتها سوريا، ثم إلى السجن وما أحدثه في نظريته إلى الإنسان والقرار والصبر، ومن فقد رانيا وأطفالها إلى الثورة وسقوط النظام، يروي جانباً من سيرة امتدت نحو تسعة عقود، تقاطعت فيها حياته الشخصية مراراً مع تاريخ سوريا الحديث.





تُصدّق في زمن الدولة العثمانية. ومع ذلك تعلمت أن قيمة الإنسان بعمله؛ فالنسب وحده لا يصنع مكانة صاحبه.

حين تعودون بذاكرتكم إلى دمشق في طفولتكم، ما الملامح التي شكّلت سنواتكم الأولى؟

في حي ركن الدين كان للمسجد حضور كبير في حياتي، وكانت العلاقات بين الناس قريبة. تبدأ معرفتك بالعالم من البيت، ثم الحارة

نشأت في أسرة محافظة، تُجِلُّ الصلاة والصيام وشعائر الإسلام وترتاد المساجد. كان تَدَيُّنُ الأسرة تَدَيُّناً فطرياً في الغالب؛ لم يكن الجميع من أهل العلم والثقافة، لكن الدِّين كان حاضراً في البيت وفي تفاصيل الحياة اليومية.

وعند الأسرة شجرة نسب قديمة تصل، بحسب ما توارثه أهلها، إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان كبار العائلة يقولون إنها كانت

لنبدأ من دمشق عام 1938.. ما أول ما تعرفونه عن حكاية ولادتكم والبيت الذي جنّتم إليه؟

وُلدت في دمشق في العاشر من شباط عام 1938، وكان ذلك، كما روت الأسرة، يوم عيد الأضحى، ولذلك سمّاني والدي «محمد عيد»: «محمد» تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم، و«عيد» لمناسبة اليوم الذي وُلدت فيه. وكانت الأسماء المركبة مألوفاً عند أهل الشام.



الشيخ سعيد البرهاني وغيره. كانت دمشق نشطة جداً بحلقات العلم. يستطيع الشاب أن ينتقل بين عدد من العلماء والمدارس العلمية، ولكل شيخ طريقته وتخصصه. وفي الوقت نفسه انخرطت في النشاط الشبابي والدعوي المرتبط بالإخوان المسلمين، وكان الدكتور مصطفى السباعي من الشخصيات المؤثرة في ذلك الوسط.

هذه البيئة جعلت علاقتي بالدين مرتبطة منذ البداية بالبحث والعمل معاً، ولم تكن مجرد معرفة أخذها من كتاب ثم تنتهي.

وسط أسماء كثيرة من علماء دمشق، جاء لقاءكم بالشيخ محمد ناصر الدين الألباني، لماذا تصفونه بأنه نقطة فاصلة في حياتكم؟

تعرفت إلى الشيخ الألباني عام 1951 بوساطة صديقي خير الدين وانلي، وكنت ما أزال شاباً. منذ ذلك الوقت بدأت علاقة ملازمة وتلمذة امتدت سنوات طويلة. لم تكن المسألة أن أحضر درساً للشيخ ثم أعود إلى البيت. كنا نجالسه ونقرأ معه ونناقشه، ورافقه في عدد من الأسفار والرحلات الدعوية، والذي بقي معي أكثر من كل شيء هو طريقة الشيخ في البحث لأنه يريد منك أن تعرف الدليل، فيسأل ويناقش، ويترك لك أن تناقشه أيضاً. لم يكن يضيق إذا خالفه أحد تلامذته ما دام الخلاف قائماً على الحجة. تعلمنا معه ألا نأخذ رأياً فقط لأن شيخاً قاله، وأن نبحث ونسأل ونراجع. وهذه المسألة أثرت في طريقة تفكيري لاحقاً؛ لأن الإنسان يحتاج إلى عقل ناقد حتى وهو يتعلم ممن يحبه ويحترمه.

وشهدت عن قرب مقدار الجهد الذي كان يبذله في الحديث والتحقيق. كان يمضي ساعات طويلة في المكتبة الظاهرية، وقد تصل إلى عشر ساعات وأكثر، بين الكتب والمخطوطات، يتتبع الروايات والطرق والمصادر. وكان يعمل أيضاً في تصليح الساعات ليكسب رزقه، وكنت أرى شيئاً من دقة الساعات في دقة الباحث عنده.

والمسجد والمدرسة، وتكبر الدائرة شيئاً فشيئاً. وأول من بقي في ذاكرتي من العلماء الشيخ ملا رمضان البوطي، والد الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي. كان إمام مسجد الحي، وعرفناه رجلاً صالحاً متواضعاً، يحترمه الناس وعلماء دمشق.

حضرت دروسه في المسجد، ومنها ما كان يقرؤه في «إحياء علوم الدين»، واستمعت إلى خطبه في مسجد الرفاعي، ودرست عليه في منزله شيئاً من الفقه الشافعي. وكان قريباً منا أيضاً الشيخ أحمد كفتارو، الذي كان مفتياً لدمشق قبل أن يصبح لاحقاً المفتي العام لسوريا. دعاني بعض تلاميذه إلى دروسه، فحضرت عنده قرابة سنتين وأنا ما أزال في المرحلة الابتدائية.

درست الابتدائية في مدرسة صاحبة، وكان اسمها يعود إلى صاحبة خاتون أخت صلاح الدين الأيوبي. حصلت على المرتبة الأولى في الشهادة الابتدائية، وكان من حسنات النظام التعليمي يومها أن المتفوق يحصل على شيء من الرعاية؛ فدخلت المرحلة المتوسطة بنظام يسمى «نصف داخلي»، وكنا نتناول الغداء على حساب المدرسة.

ثم درست المتوسطة والثانوية في «التجهيز الأولى». لم تكن المدارس الثانوية في دمشق كثيرة، ولذلك كانت تضم طلاباً من المدينة ومن مناطق وأقضية مختلفة. وهذا بحد ذاته كان تعليماً آخر؛ تتعرف إلى أبناء بيئات مختلفة، وتكتشف أن دمشق ليست الحارة التي ولدت فيها وحدها. وكان لنا أساتذة فضلاء ما زلت أنكرهم بكل خير، وكانت المدرسة، إلى جانب التعليم، فضاء للعلاقات والنقاش وتكوين الشخصية.

في الوقت نفسه كنتم تتجهون أكثر نحو حلقات العلم الشرعي، كيف اتسعت هذه الدائرة؟

بعد ملا رمضان والشيخ أحمد كفتارو، درست بصورة أكثر انتظاماً في معهد التوجيه الإسلامي عند الشيخ حسن جبّة الميداني. وكنت أنزل إلى الجامع الأموي لأحضر دروس

مواقفي ونشاطي، ثم ما شهدته البلاد في أواخر السبعينيات، دفعت حياتي شيئاً فشيئاً إلى مسار آخر.

عرفتم سوريا قبل عام 1963 وما بعده. كيف تصفون التحول الذي طرأ على الحياة السياسية والمجتمع؟

كان المجتمع الشامي يتميز بالانفتاح، وكانت هناك خلافات فكرية كثيرة، لكن الناس لم يكونوا يتقاتلون من أجل خلاف فكري. كان هناك حوار ونقاش وتبادل، ولكل طرف حريته. وحتى مع وجود أديان وطوائف مختلفة، من مسلمين ومسيحيين وغيرهم، لم يكن الصراع الطائفي هو الصورة التي عرفناها في المجتمع. وكانت سوريا متقدمة من الناحية العلمية والحضارية، ومرشحة لأن تكون في مقدمة البلدان العربية، لكنها ابتليت بحوادث سياسية كثيرة. ومنذ انقلاب عام 1963 عانينا حكم الحزب الواحد، ثم حكم الفرد والعائلة، والظلم والبطش والتنكيل والطائفية، وهذا كله أضر البلاد كثيراً عما كان يمكن أن تصل إليه. كما تأثر المجتمع بالأفكار والثقافات التي جاءت من الخارج، وكان لحقبة الانتداب الفرنسي أثرها أيضاً، وانتشرت الأحزاب ذات الاتجاهات العلمانية، في حين كانت الحركات الإسلامية أقل حضوراً. ومع ذلك بقي التفاعل بين هذه الاتجاهات، في المرحلة التي أتحدث عنها، يجري بصورة سلمية إلى حد كبير.

ثم جاء الاعتقال عام 1980... كيف تتذكرون تجربة الاعتقال؟

بدأت مقدمات الاعتقال قبل ذلك بأشهر. ففي أواخر عام 1979 تقريباً، نُقلت مجموعة كبيرة من المدرسين والأساتذة من التعليم إلى إدارات حكومية لا علاقة لها بعملهم. نُقلت أولاً إلى محافظة دمشق، ثم إلى مديرية الصحة، وفي منتصف تموز عام 1980 تقريباً اعتُقلت.

منذ لحظة الاعتقال انقطع خبري عن أسرتي تماماً. لم يكونوا يعرفون أين أنا، ولا إن كنت حياً أو ميتاً، وكانت تصلهم أخبار بأن نظام البعث قد أعدمني، واستمر هذا الغياب

والناشطين في الدعوة ومرتادي المساجد، في ظل تراجع مساحة الحرية واتساع قبضة الأجهزة على المجتمع. في تلك الأجواء رأيت أن السفر إلى السعودية قد يتيح لي الابتعاد عن هذا التضييق والاستمرار في عملي، ولا سيما أن لجاناً كانت قد جاءت للتعاقد مع مدرسين.

سافرت إلى السعودية، وعملت نحو ثلاث سنوات في المعهد العلمي في الحوطة قرب الرياض، ثم عدت إلى سوريا واستأنفت عملي في التعليم الحكومي. درّست في إعدادية حسن الخراط، ثم إعدادية أحمد ناصيف، ثم ثانوية ابن العميد.

وفي عام 1967 عشت واحداً من أقسى أوجه الفقر في حياتي؛ توفي ابني حسان بمرض السرطان وهو في الرابعة من عمره. كان فقده صدمة قاسية لي ولوالدته، وبقي أثره معنا رغم مرور السنوات. وبعد ذلك زُرّقنا ولداً آخر، فاخترت له اسم حسان أيضاً، ليحمل ذكرى أخيه الذي فقدها.

كنت أحبّ التعليم واللغة العربية، وكنت أظن أنني سأبقى في هذا المسار، لكن التضييق السياسي والتنقلات الوظيفية ذات الطابع العقابي التي تعرضت لها بسبب

إلى جانب تحصيلكم في العلوم الشرعية، كيف انتقلتم إلى الدراسة الجامعية، ولماذا اخترتم تخصص اللغة العربية؟

بعد الثانوية انتسبت إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة دمشق، على حساب دار المعلمين العليا، كما كانت تُسمّى آنذاك. وكانت الدولة بحاجة إلى مدرّسين، فتجري مسابقات يُقبل الناجحون فيها للدراسة على نفقتها، مقابل التزامهم بعد التخرج بالتدريس في المدارس الحكومية مدةً محددة.

أما اختياري اللغة العربية، فكان مرتبطاً منذ البداية باهتمامي بالعلوم الدينية؛ فاللغة العربية هي المفتاح لفهم القرآن الكريم وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه وسائر علوم الشريعة، كما أنها السبيل إلى قراءة التراث الإسلامي في مصادره الأصلية. ولهذا كنت أرى أن دراسة العربية والعلوم الشرعية متلازمتان، وأن التعمق في إحدهما يعين على فهم الأخرى.

نجحت في المسابقة، ونلت الإجازة في اللغة العربية عام 1960، ثم حصلت في العام التالي على الدبلوم العام في التربية، وبدأت عملي مدرّساً.

وكانت سوريا آنذاك تعيش كراكاً سياسياً شديداً، وكانت الأحزاب حاضرة في المجتمع والجامعات. وفي كلية التربية، أو دار المعلمين العليا، كنت ألحظ على وجه الخصوص حضوراً مبكراً لحزب البعث، وهو ما صرت أقرؤه لاحقاً في سياق سعي الأحزاب آنذاك إلى بناء نفوذها داخل مؤسسات الدولة.

كيف بدأت مسيرتكم في التعليم، وأين قادتكم بعد التخرج؟

عُيّنت مدرّساً للغة العربية عام 1961، وتنقلت في التدريس بين البوكمال ودير الزور، ثم قطنا وبيروت. وكان للخروج من دمشق أثر مهم في معرفتي بسوريا؛ تعرّفت إلى بيئات وعادات مختلفة، ورأيت في الوقت نفسه مقدار ما يجمع الناس على اختلاف مناطقهم.

ومع استيلاء حزب البعث على السلطة، بدأ المناخ العام يتغير، واشتد التضييق على الشباب المتدينين

تعلّمنا مع الشيخ
الألباني ألا نأخذ رأياً
لأن شيخاً قاله، وأن
نبحث ونسأل
ونراجع؛ لأنّ الإنسان
يحتاج إلى عقل ناقد
حتى وهو يتعلم
ممن يحبه
ويحترمه

سنوات طويلة دون أن يكون لديهم ما يطمئنهم على مصيري.

بدأت سنوات الاعتقال في سجن المزة، حيث قضيت نحو أربع سنوات في زنزانة انفرادية ضيقة. كان الشتاء شديد القسوة، ولم يكن لدي فراش؛ ثلاث بطانيات كانت كل ما أملك؛ واحدة أضعتها تحتي، وأخرى أغطي بها، والثالثة أستخدمها بحسب الحاجة، أما الحذاء فكنت أضعه تحت رأسي كأنه وسادة.

كانت العزلة قاسية، ومعها سوء الطعام والظلام والجِرْذان والتعذيب والترهيب. وكانت الصلاة والصيام وذكر الله ممنوعة، فكنت أحاول أن أصلي خفية، على قدر استطاعتي وعلى الحال التي أكون عليها.

وخلال وجودي في المزة، أُدخل إليّ في إحدى المرات رجل مسيحي وبقي معي نحو عشرة أيام. دارت بيننا أحاديث ومناقشات طويلة في الدين، وفي نهاية تلك الأيام أعلن إسلامه. بقيت هذه الحادثة في ذاكرتي لأنها وقعت في مكان كان كل شيء فيه يدفع الإنسان إلى الانغلاق والخوف، ومع ذلك ظل للحوار والمعرفة مكان. وبعد نحو أربع سنوات نُقلت إلى سجن تدمر، وهناك بدأت مرحلة أشد قسوة. أذكر المهجع رقم 16 في الباحة الثالثة، وكان عشرات المعتقلين يعيشون في مساحة تقارب سبعين متراً.

في تدمر لم يكن التعذيب مرتبطاً بالتحقيق أو العقوبة وحدهما؛ بل كان جزءاً من الحياة اليومية. كانت في سقوف المهاجع فتحات يراقب الحراش المعتقلين من خلالها بصورة مستمرة، ليلاً نهاراً.

فأى حركة، أو كلمة، أو محاولة للصلاة، أو نشاط يلحظونه، كان يمكن أن يعرض صاحبه للتعذيب فوراً. كان الإنسان يعيش أربعاً وعشرين ساعة تحت المراقبة، حتى أصبح مجرد الشعور بأن عيناً تترصده في كل لحظة جزءاً من العقوبة نفسها.

وكان الخوف من الإعدام حاضراً دائماً. كانت الأبواب تُفتح أحياناً بصورة مفاجئة في الليل، ويُنادى على أسماء معتقلين ويُقتادون إلى الإعدام.

لم يكن أحد يعرف متى سيُفتح الباب، ولا مَنْ سيكون الاسم التالي. وكنا نعيش هذا الترقب ليلة بعد أخرى. ومع كل ذلك، نشأت بين المعتقلين صورٌ كبيرة من التضامن. كان بعض الشباب يتطوعون أحياناً لتحمل الضرب مكان من هو أكبر منهم سناً أو أضعف جسداً. وفي تلك الظروف القاسية نشأت بيننا علاقات وروابط إنسانية بقي أثرها معي حتى بعد السجن.

أما الاتصال بالعائلة، فظل مقطوعاً سنوات طويلة. ولم أر أولادي إلا عام 1989، بعد نحو تسع سنوات من الاعتقال. وجاءت تلك الزيارة في ظروف استثنائية؛ إذ كان الأستاذ زهير الشاويش وسيطاً في ترتيبها، في سياق طلب يتعلق بخلاف بينه وبين الشيخ ناصر الدين الألباني، وكان يريد أن أحكم في الموضوع. ومن خلال ذلك أمكن ترتيب زيارة عائلية واحدة، جاءت فيها زوجتي ومعها الأسرة كلها.

كانت تلك أول مرة ألتقي فيها أولادي بعد تسع سنوات. رأيتهم وقد كبروا دون أن أعيش معهم تلك السنوات، وعرفت ما حققته رانيا، وأنها أحرزت بطولات في الشطرنج. كنت فخوراً بها وسعيداً جداً بما وصلت إليه. كانت زيارة عام 1989 نقطة فارقة في سنوات السجن؛ أعادت إليّ شيئاً

من الأمل بعد سنوات طويلة من العزلة واليأس، وأعادت لي صورة الأسرة التي كنت قد انقطعت عنها زمناً طويلاً.

وخلال سنوات السجن عشت فقداً آخر حين علمت بوفاة والدي. كان مؤلماً أن أفقد أبي وأنا خلف القضبان، بعيداً عنه وعن عائلتي، فلا أستطيع أن أراه أو أودعه أو أكون إلى جانبه في أيامه الأخيرة. وكان ذلك ألماً آخر حملته معي خلال سنوات الاعتقال. ثم مضت السنوات الأخيرة من الاعتقال إلى أن خرجت من السجن بعد أكثر من ثلاثة عشر عاماً، حاملاً معي تجربة لم تنته آثارها بمجرد الخروج من بابه.

وسط هذه الظروف، كيف صنع المعتقلون حياتهم داخل السجن؟

كانت الكتب والثقافة ممنوعتين. وأحياناً كنا نعتز على قصاصة صغيرة من جريدة في الباحة فيتنسابق الناس إلى قراءتها، حتى لو لم يكن فيها إلا إعلان أو بضعة أسطر.

لكن العلم كان في صدور المعتقلين. من يحفظ شيئاً من القرآن يعلمه لغيره، ومن يعرف الإنكليزية يعلمها، ومن لديه معرفة بالتاريخ أو الجغرافيا أو الاقتصاد أو السياسة ينقلها إلى الآخرين.

وفي العلوم الشرعية تشكلت حلقات في التفسير والحديث والفقه ومصطلح الحديث والعقيدة والسير. ولم يكن معنا مصحف نرجع إليه دائماً، فكان بعضنا يسمع لبعض، وإذا وقع اختلاف في آية أو قراءة رجعنا إلى من كان أكثر حفظاً وإتقاناً.

حتى إننا صار عندنا نوع جديد سميناه «فقه السجون»، بسبب مسائل لم نكن نواجهها بهذه الصورة في الحياة العادية؛ كيف يصلي الإنسان تحت المنع؟ وكيف يتصرف إذا أكره على الإفطار؟ وما الأحكام التي تفرضها ظروف السجن؟

وكان مجرد عقد حلقة علم يحتاج إلى حذر شديد. أجلس مع شخص وكأننا نتحدث، ويجلس آخرون في اتجاهات مختلفة يستمعون دون أن يظهر أننا نعقد درساً، وكنا نستفيد أحياناً من الأغطية والستائر لحجب

خرجت
من السجن
أكثر وعياً
بأن العاطفة تحتاج
إلى عقل، وأن
القرارات الكبيرة
تحتاج إلى دراسة
للقدرات والظروف
والنتائج



بعض المستمعين.
ومع مرور السنوات خرج كثيرون من السجن وقد حفظوا من القرآن وتعلموا من العلوم أكثر بكثير مما كانوا يعرفونه حين دخلوا.
ولم تقتصر الحياة داخل السجن على حلقات العلم؛ كان للشعر والإنشاد، وحتى لبعض المحاولات المسرحية، حضور أيضاً. وكان بيننا شعراء ومنشدون، منهم الأخ خالد التّوامي من معرّة النعمان، رحمه الله، وكان شاعراً ومنشداً. كما كان بين الإخوة من يمتلك صوتاً جميلاً ومعرفة بالمقامات، فينشدون القصائد، ويخففون بذلك شيئاً من قسوة السجن على المعتقلين. ونظمت أنا عدداً من القصائد والأناشيد، ومنها قصيدة طويلة بلغت نحو مئتين وثلاثين بيتاً. وكان الشعر يدخل أحياناً مباشرة في حياتنا؛ فعندما وقع خلاف بين فريقين داخل السجن كتبت أبياتاً أدعو فيها إلى المصالحة والتّأخي. وكان بعض الإخوة يقدمون مشاهد تمثيلية بسيطة تصور الصراع بين الحق والباطل، وتبشر بالفرج، وتروح عن النفوس.
وكان معنا أيضاً أطباء، ومنهم الدكتور أحمد بيروتي. وكنا نتجنب أحياناً إبلاغ إدارة السجن عن المريض، لأن الشكوى من المرض قد تجلب له الضرب بدلاً من العلاج.
فكانت «الحاجة أم الاختراع» بالمعنى الحرفي؛ استخدم الأطباء معجون الأسنان في بعض الحالات بدلاً من بعض المراهم، وأجروا تدخلات بسيطة بأدوات بدائية. وانتشر الجرب بسبب الاكتظاظ وصعوبة النظافة وتعقيم الثياب والبطانيات، وكان الأطباء يحاولون علاجه بما يتوافر لديهم.
وهكذا نشأ داخل السجن عالم كامل؛ هذا يعلّم، وهذا يعالج، وهذا ينشد أو يكتب الشعر، وآخر يواسي من ضُغِفَت نفسه أو يساعد من هو أضعف منه.

يتبع



مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي ماذا تؤسس الدورة الأولى؟

تحدّث وزير الثقافة عن مهرجان يأتي في نسخته الأولى، ليكون «محطة أولى من محطات القصيدة»، رابطاً انطلاقته باستعادة دمشق علاقتها بالشعر، حين قال: «تبدأ دمشق هذه المرة لتستعيد مقامها منبعاً للشعر وموئلاً له كما كانت على مَرِّ الدهور، والشعر يبدأ من دمشق هذه المرة أيضاً لا تحت سلطة استبدادية إقصائية، بل في فضاء سوري جديد». ومن المنصة نفسها أعلنت جائزة البردة الشامية في المديح النبوي، وجائزة السيف الدمشقي في الشعر العربي، والموقع الإلكتروني «ديوان شعراء سوريا»، إضافة إلى إطلاق لجنة الشعر النبطي؛ مسارات يتجاوز زمنها أيام المهرجان. وبهذه المسارات، خرج سؤال التأسيس من خطاب الافتتاح إلى ما يمكن اختباره بعده: أصوات جديدة تجد طريقها إلى المنبر، وذاكرة شعرية تتسع، ومعايير تتشكل، وبرامج تستطيع أن تعبر المسافة من دورة إلى أخرى.

من موعد سنوي إلى مشروع

يرى المنسق العام للمهرجان ومدير الفعاليات في وزارة الثقافة خالد المحيميد أن بناء المشهد الشعري يرتبط بما يمكن للمهرجان أن ينتجه إلى جانب أمسياته: اكتشاف أصوات جديدة، وربط الأجيال والتجارب، وتطوير برامج ومبادرات يمتد حضورها بعد انتهاء الدورة.

«القصيدة... هي أجمل ما يثبت أن القوانين تؤدي إلى الجمال». بهذه الفكرة ربط وزير الثقافة محمد ياسين الصالح، في كلمته خلال افتتاح الدورة الأولى من مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي، بين اتساق اللغة وجمال القصيدة، ثم وسّع الفكرة إلى بعدها الأخلاقي، قائلاً: «القصيدة الشعرية حينما تكون منضبطة بالأخلاق فإنها تصنع من اللغة صرحاً شامخاً وبنيناً عظيماً».

فالقصيد لا تقف عند جمال العبارة، بل تحمل ما مَرَّ باللغة من زمن ومعنى وذاكرة، ولهذا بقي الشعر ديوان العرب؛ يلتقط تحولاتهم ويعيد صياغتها. وفي المهرجان، تغادر القصيدة لحظة الإلقاء إلى فضاء أوسع؛ تُسمع، وتُناقش، وتُلقى بجمهورها ونقدها، لتصبح جزءاً من مشهد ثقافي يتشكل حولها.

وهنا يبدأ سؤال الدورة الأولى: ما الذي يمكن لمهرجان شعري أن يؤسس له؟ وكيف ينتقل من استضافة المشهد الشعري إلى المشاركة في تشكيله؟

بين الثاني والسابع من آب 2026، أقيمت الدورة الأولى من مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي، برعاية وزارة الثقافة وتنظيمها، تحت شعار «الشعر يبدأ من دمشق»، بمشاركة 55 شاعراً وأديباً ومهاضراً من 16 دولة عربية. وحضرت فكرة التأسيس في خطاب الافتتاح نفسه؛ فقد





إلى المنبر؟ وبأي معيار؟ وأي تجارب يريد المهرجان أن يمنحها مساحة للحضور؟

المنبر.. بين العدد والقيمة

يضع الشاعر العراقي وليد الصراف المسألة عند معيار الاختيار، انطلاقاً من تجربة مهرجانات عربية يرى أن بعضها قدّم الكم والتمثيل على النوع.

وقال لـ «لمجلة الشام»: «مشكلتنا في بعض المهرجانات العربية، منذ نصف قرن، أننا أصررنا على الكم على حساب النوع، وأبنا المنبر فاستباحه غير الموهوبين، ولكن في مهرجان دمشق للشعر وجدت صورة مشرفة، قاعة شعر حقيقية جمهورها جمهور حقيقي، فقاعة الشعر ليست أربعة جدران، إنها الأرض مختزلة داخل أربعة جدران، وساعة الشعر في هذه القاعة ليست مسافة تقطعها عقرب الساعات بين رقمين، بل الدهر مختزلاً في ساعة».

وأضاف «في كثير من المهرجانات يغيب الكبار ويُدعى من لهم مصالح شخصية مع القائمين عليها، أدبية أو غير أدبية، ولا تبقى قصيدة واحدة يرويها الناس بعد انتهاء المهرجان. ولو راجعنا مهرجانات القرن العشرين حتى سبعينياته لرأينا الشعراء المدعّوين هم نزار والجواهري وبدوي الجبل والفيتوري ودرويش ومن هم من طبقتهم، ولرأينا أن التمثيل الجغرافي لم يكن يُراعى كما هي الحال في كثير من المهرجانات العربية الآن».

الحل الصحيح وفق الصراف، أن يُدعى أفضل الشعراء ويُجمعوا في جلسات في قاعة لا يرتقي منبرها إلا الكبير، بغض النظر عما إذا كان معروفاً أو لا، وتابع «وندعو عشرة إعلاميين من ألمع الإعلاميين العاملين في أكثر الفضائيات انتشاراً ليفتحوا في كل بيت عربي شاباً على القاعة، ويجعلوا القاعة التي تتسع لمئات تتسع لملايين. وهذا ما وجدت قذراً

وفي حديثه لـ «مجلة الشام»، قال: «نريد لدمشق أن تستعيد عافيتها الثقافية ودورها المحوري ومكانتها الحضارية، ونريد أن يتجاوز مهرجان دمشق الدولي للشعر العربي فكرة الموعد السنوي إلى مشروع ثقافي مستدام، يراكم حضوره وتأثيره من دورة إلى أخرى، ويسهم في بناء المشهد الشعري، لا في عرضه فحسب».

وأضاف: «رؤيتنا أن يكون المهرجان مساحة تلتقي فيها الأجيال والتجارب والمدارس المختلفة، وأن يفتح الطريق أمام جيل جديد من الشعراء والشاعرات، عبر اكتشاف الأصوات الشابة وإتاحة المنابر لها، وربطها بتجارب الشعراء والنقاد الأكثر خبرة، بما يخلق حواراً معرفياً وإبداعياً بين الأجيال». وتابع «نطمح إلى أن يمتد أثر المهرجان على مدار العام من خلال التوثيق والبرامج واللقاءات النقدية والمبادرات التي تصل إلى المواهب في المحافظات. وما الجوائز التي أطلقها المهرجان إلا أحد المسارات التي نريد من خلالها اكتشاف الأصوات الجديدة وحفزها ومنحها فرصة أوسع للوصول والحضور، بحيث يجد الشاب أو الشابة ممن يكتبون الشعر مساراً واضحاً ينقل تجربتهم من البدايات إلى فضاء أوسع من القراءة والنقد والحضور الثقافي».

وعلى المدى البعيد، يؤكد المحميد أنهم يريدون في وزارة الثقافة لدمشق مهرجاناً ذا هوية خاصة ومكانة راسخة في المشهد الشعري السوري والعربي؛ وقال «نريد مهرجاناً يستضيف الأسماء المهمة، ويشارك في الوقت نفسه في صناعة الأسماء التي ستشكل المشهد مستقبلاً، ونقيس استدامته بما يتركه بعد كل دورة من أصوات جديدة، وحوار بين الأجيال، ومعرفة موثقة، وشراكات ومشروعات تستمر بعد انتهاء أيام المهرجان».

يفتح حديث المحميد عن «بناء المشهد الشعري» مسألة تتصل بالمادة التي يُبنى منها هذا المشهد نفسه: من يصل



عن الحداثة الشعرية بالعودة إلى الوثائق والشهادات والنتاج الشعري.

بهذا، دخل تاريخ القصيدة نفسه في مساحة السؤال، فالشعر السوري تشكّل عبر تجارب ومدارس وسجلات متعددة، وهو ما يعيد النقاش إلى منبر المهرجان: كيف يحضر هذا التعدد في دورة تحمل اسم دمشق؟

حديقة من أكثر من وردة

يلتقي هذا السؤال مع ملاحظة الشاعر اللبناني شوقي بزيغ عن شكل المشاركات في الدورة الأولى، ولا سيما غلبة القصيدة العمودية.

وقال لـ «مجلة الشام»: زيارتي لدمشق كانت أكثر من ناجحة بعد 20 عاماً من الانقطاع، بسبب مواقفي من النظام البائد وكنت كسواي أنتظر بشغف بالغ عودة سوريا إلى أهلها في ظل نظام حكم جديد مدني ديمقراطي متنوع ومتنوع. وتابع «قلت في الافتتاح إن دمشق لم تكن أبداً أحادية، ولم تكن مغلقة على الأفكار الجاهزة والأيدولوجيا النهائية، بل كانت مفتوحة على التيارات السياسية والعقائدية والفكرية والثقافية المختلفة. ومن يرفض نظام الحزب الواحد ويرفض أحادية الطغيان والاستبداد، فلا ينبغي له أن يقبل أن يعمم نمطاً أسلوبياً واحداً في الكتابة الشعرية أو غيرها».

وأضاف «لاحظت أن السواد الأعظم من المدعوين والمشاركين هم من شعراء القصيدة العمودية التي خضت غمارها في مقتبل حياتي ولم أكن ضدها على الإطلاق. ولكن يجب أن تكون خياراً من بين خيارات متعددة، فإذا اعتبرنا أن الشعر العربي هو حديقة وارفة الظلال، فالحديقة لا تصنع من نوع واحد من الورود، بل من أنواع كثيرة وهذا ما يعطيها رونقها وبهجتها».

وأردف «أرجو أن يتسع صدر الأصدقاء في سوريا والمعنيين

كبيراً منه في مهرجان دمشق الدولي للشعر، وهو خطوة عظيمة نحو الأمام، ولا بدّ أن تستعيد مدينة عريقة في الشعر كدمشق الشعر العربي من كثير مما أصابه وتتصدر مشهده من جديد».

لا يقف الصراف عند جودة من يصعد إلى المنبر؛ فالقصيدة في حديثه تحتاج أيضاً إلى جمهور، ثم إلى نافذة تحملها إلى خارج القاعة، وإلى ما يجعلها قابلة للبقاء في الذاكرة بعد انتهاء المهرجان.

لكن سؤال المنبر لا ينتهي عند جودة الأسماء، فاختيار الشعراء يقود إلى سؤال آخر: أي شعر يمثل المشهد الذي يريد المهرجان أن يبينه؟ وهنا ينتقل النقاش من الأسماء إلى الأشكال، ومن حاضر القصيدة إلى تاريخ التحولات التي صنعتها.

القصيدة على طاولة المراجعة

لم تبقَ القصيدة خلال المهرجان على المنبر وحده، فقد أعاد المسار الفكري والنقدي طرح تاريخها وتحولاتها، ومن أبرز ما حمل هذا الاتجاه محاضرة الكاتب والباحث إبراهيم الجبين «الانقلابية في الحركة الشعرية السورية».

عاد الجبين إلى المشهد الشعري السوري منذ منتصف القرن العشرين، متوقفاً عند العلاقة بين الإبداع والسلطة، وأثر التحولات السياسية والثقافية في مسارات الحداثة الشعرية والنقد، مروراً بالجدل الذي أحاط بتجربة نزار قباني وظهور مجلة «شعر» في بيروت، وصولاً إلى صعود قصيدة النثر وما رافقها من سجلات نقدية وفكرية.

واستندت المحاضرة إلى تجارب شعراء بينهم عمر أبو ريشة ونزار قباني وبدوي الجبل وعلي الجندي وممدوح عدوان وفايز خضور، ضمن قراءة أعادت النص إلى سياقه التاريخي والثقافي والسياسي، وطرحت مراجعة السرديات النقدية





من خشبة عابرة للقراءة إلى محرابٍ يُختبر فيه جوهر النص ومدى قدرته على ملامسة المطلق».

وأضافت أن «إقامة المهرجان في الشام تمنحه ثقلاً استثنائياً، إذ تُعيد المدينة صياغة المشهد بكونها قلعةً للتأويل ومحركاً دائماً للوعي الجمالي، ليتشكل الحدث كمنسج مفتوح للمكاشفة الإنسانية الشاملة وتتوارى فيه النبرة التقريرية لصالح التوهج الروحي.

المهرجان يثبت في خطوته الأولى أنه يتجاوز كونه منبراً مؤقتاً، ليصبح مختبراً تتخلق فيه الأسئلة الجوهرية للقصيدة العربية المعاصرة، حيث تتلاقى أطراف التجريب مع أصالة الموروث في سياقٍ جمالي يتجاوز المألوف ويفتح مغاليق الأفق».

في قراءة الزعبي، يدخل المكان في تجربة القصيدة من خلال ذاكرته وذاائقته، ويتحول الجمهور إلى طرف في اختبار النص. وقد مدّ البرنامج هذه العلاقة إلى خارج قاعات الأمسيات أيضاً، عبر جولات ثقافية للوفود إلى دمشق القديمة وبصرى الشام وصيدنايا ومعلولا.

ما حول القصيدة

اتسع برنامج الدورة الأولى إلى ما يتجاوز الأمسيات؛ فجمع بين شعر القريض والنبطي، والشعر المغنّي، ومعارض الفن والكتاب، وحفلات التوقيع، وحلقات البودكاست الحية.

وجمعت الأمسيات بين شعر القريض والشعر النبطي، وشارك فيها شعراء من العراق والسعودية واليمن والكويت والأردن وليبيا وسوريا، من بينهم الشعاران وليد الصراف ويحيى الحمادي.

وإلى جوار القصيدة الملقاة، حضر الشعر المغنّي في العروض الفنية والغنائية، وكان من أبرزها حفل الفنانة ولاء الجندي التي قدمت قصائد صوفية ورومانسية، وحفل

بالشأن الثقافي لكل أشكال المغامرة والتجريب جنباً إلى جنب مع الأنماط الإبداعية العربية الأصيلة. أستطيع القول بموضوعية، ورغم احتفائي بعودة دمشق إلى الشعر، إن سوريا كانت دائماً سباقة وطلايعية في علاقتها بالكتابة الشعرية، علي أن لا أنسى أبداً أن جزءاً من روح بيروت الإبداعية كانت وافدة من الجهة السورية، عبر رموز كثيرة عاشت في بيروت، من عمر أبو ريشة، لنزار قباني، لأدونيس، للماغوط. ودمشق لن تكون إلا نفسها، ولن تتراجع عما سبق وقدمته من قبل، بل بالعكس هي معنية بتنميته وتطويره.»

يضع بزيغ التعدد في ضُلب هوية المهرجان، والمسألة هنا ليست مفاضلة بين العمودي والتفعيلة وقصيدة النثر، بل قدرة المنبر على استيعاب تاريخ شعري تشكّل من اختلاف المدارس والأساليب، وإتاحة المجال للمغامرة والتجريب إلى جانب الأشكال الراسخة.

دمشق داخل التجربة

من هذه الزاوية قرأت الشاعرة التونسية أماني الزعبي مشاركتها في الدورة الأولى؛ فظهر حضور المدينة في حديثها متصلاً بالجمهور والذاكرة والذائقة، كما أكدت خلال المهرجان أن المشاركة في دمشق تحمل أهمية للشاعر العربي لما تمثله المدينة وسوريا في الذاكرة الثقافية العربية.

وقالت لـ «مجلة الشام»: «إن اللقاء بالجمهور الدمشقي والتجارب الشعرية الممتدة على جغرافيا المعنى في هذه الدورة الأولى، يجسد لحظة تجلٍّ حقيقية لطاقة القصيدة حين تستردّ عرشها الأصيل كفعل كشفٍ وثقافة، صانعة تحولاً فارقاً من الطقوس الشكلية للإلقاء إلى أقاصي الحوار الوجودي، لقد كشفت لي هذه التجربة أن المهرجان يمتلك مقومات التأسيس لأفق متجدد؛ ففي دمشق يقف الشاعر قبالة ذائقة تاريخية حادة تُصغي بالذاكرة والوعي معاً، فيتحوّل الفضاء



الفنان بشار زرقان، لتتصل القصيدة بالموسيقا والصوت في مساحة أخرى من البرنامج.

وفي بهو دار الأوبرا، جاورت الشعز معارض للفنون التشكيلية والكتاب، وحفلات توقيع للإصدارات الأدبية الحديثة، فيما نُقلت جلسات وتسجيلات عبر حلقات بودكاست حية من قلب الحدث، بما وشع دائرة الوصول إلى ما بعد جمهور القاعة. وامتدت التجربة إلى خارج دار الأوبرا أيضاً، عبر جولات ثقافية للوفود العربية إلى دمشق القديمة وبصرى الشام وصيدنايا ومعلولا، في ربط بين المنتج الثقافي والمكان التاريخي الذي يستضيفه، وبين القصيدة والفضاء الحضاري المحيط بها.

وفي المسار الفكري، أقيمت جلسة عن تجربة الشاعرة سعاد الصباح، وقدم نائب وزير الثقافة سعد نعيان محاضرة بعنوان «الاستثمار في الشباب المبدع حاجة وطنية ملحة»، إلى جانب ندوات تناولت تحولات القصيدة العربية المعاصرة، فجاور النقاش النقدي فعل الإلقاء. كما كرم المهرجان عدداً من الأسماء السورية والعربية في المشهد الثقافي، بينهم الشاعرة الكويتية د. سعاد الصباح، والأكاديمي والناقد الأدبي والثقافي السعودي د. عبد الله الغدامي، والناقد والباحث السوري د. خلدون الشمعة، والشاعر اللبناني شوقي بزيغ، والأديب والشاعر والدبلوماسي القطري د. حسن علي النعمة، والشاعر الكويتي د. مشعل الزعبي، والإعلامي والشاعر القطري علي المسعودي، إلى جانب فقرة «مثقفون راحلون» التي استعادت أسماء غابت وبقي أثرها في المشهد الثقافي.

اجتمعت بذلك في الدورة الأولى قصيدة تُلقى، وتاريخ يُراجع، وأسماء تُكرم، وتجارب يُفتح أمامها الطريق؛ وهي مسارات تعيد السؤال إلى ما يمكن أن يبقى بعد انتهاء الأمسية.

ما بعد أيام المهرجان تضع الدورة الأولى ملامح لما يمكن أن يمتد بعدها: جوائز لأصوات جديدة، والموقع الإلكتروني «ديوان

عناصر هذا البناء: صناعة المشهد، وجودة الاختيار، ومراجعة تاريخ القصيدة، وتنوع أشكالها، وصلتها بالجمهور والمكان.

وإذا كان شعار الدورة الأولى «الشعر يبدأ من دمشق»، فإن ما سيُبنى بعد هذه البداية هو ما سيمنح المهرجان هويته ومكانه في المشهد الشعري.

شعراء سوريا» ذاكرة شعرية متنامية، ومساحة نقدية تصل القصيدة بجمهورها وتفتح المنبر أمام تعدد التجارب.

فالقصيدة تحمل اللغة والذاكرة والخيال، فيما يستطيع المهرجان أن يوسع أثرها بمنبر له معايير، ونقد يحاورها، وجمهور يصل إليها، وذاكرة تحفظها. وتختصر شهادات المشاركين

«صيف سوريا» مهرجان واحد بملامح المدن السورية

الفعاليات محصورة في مراكز المدن. ويوضح أن فكرة «صيف سوريا» بُنيت بصيغة قابلة للتطبيق في المحافظات بالتنسيق مع المحافظات ومديريات الثقافة، بما يتيح وصولها إلى المدن والقرى والنواحي، انطلاقاً من مبدئي العدالة الثقافية والاجتماعية.

ودخل الزوار متحف الفسيفساء، ومتحف الحديقة الذي ضم قطعاً من المرحلتين المملوكية والسلاجقية، إضافة إلى قاعة العرش، ليصبح التعرف إلى تاريخ القلعة ومعمارها جزءاً من الزيارة. كما احتضنت القلعة معرضاً لـ 23 قطعة أثرية استعادتها سوريا من فرنسا، تمتد تواريخها من عصور ما قبل التاريخ إلى الحقبة العثمانية، لتمنح الزوار نافذة أخرى على تاريخ البلاد.

سبعة مسارات تلتقي عند العائلة

بنت إدارة المهرجان برنامجاً على سبعة مسارات جمعت المعرفة واللعب والفن، وتوزعت أنشطتها بين المسرح والموسيقى والفنون البصرية والخط والفخار والحرف والكتاب، إلى جانب الألعاب الذهنية والروبوت والذكاء الصناعي والفلك والرياضة وبرامج السلامة العامة.

وقال معاون مدير المهرجان عارف الجويجاتي لـ «مجلة الشام» إن البرنامج ضم أكثر من 120 عرضاً فنياً ومسرحياً وثقافياً، وأُتيحت فعالياته مجاناً

واتسعت دلالة المهرجان في كلمة وزير الثقافة إلى ما يجمع السوريين بتنوعهم؛ إذ أكد اشتراكهم في تاريخ وطني واحد، ودور الثقافة في فتح مساحات للقاء بينهم. وانعكس ذلك في برنامج ضُمّ للعائلة، وجمع الفنون والتعليم والعلوم والرياضة والحرف والكتاب، ليجعل النشاط الثقافي جزءاً من الحياة اليومية.

القلعة.. تاريخ يعود إلى الناس

ولم يقتصر فتح القلعة على ساحاتها التي احتضنت الفعاليات؛ إذ أتيح للزوار اكتشاف أجزاء من هذا الصرح العريق بقيت بعيدة عن الناس، لتصبح القلعة نفسها جزءاً من تجربة المهرجان، لا مجرد مكان يستضيفها. وقال مدير المهرجان ومدير ثقافة الطفل والياfeين في وزارة الثقافة زهير البري لـ «مجلة الشام»: إن اختيار القلعة جاء لإعادتها إلى حياة السوريين، فيما قامت فكرة المهرجان اجتماعياً على إعادة الروابط الأسرية، ومنح أفراد الأسرة وقتاً ومساحة مشتركة، ضمن برنامج يخاطب الأطفال والياfeين والكبار.

ويربط البري هذه الفكرة برؤية أوسع قامت عليها التجربة منذ بدايتها، وهي أن تصل الثقافة والفرح والتراث السوري والأصالة إلى السوريين على امتداد الجغرافيا السورية، وألا تبقى

مجلة الشام - مريم حجير

من قلعة دمشق التي استقبلت العائلات بعد عقود من حجبها عن الناس، إلى مدن ومناطق سورية حمل كلٌ منها شيئاً من بيئتها وتراثها، قدّم مهرجان «صيف سوريا» للعائلة تجربة جمعت الثقافة والترفيه والعلوم والرياضة والتراث، وجعلت الطفل والعائلة نقطة التقاء بين فعاليات امتدت على خريطة البلاد.

ففي مساء السادس من آب، وقبل افتتاح مهرجان «صيف سوريا» للعائلة 2026 في قلعة دمشق، وصل إلى المنظمين خبر تفجير عبوة ناسفة داخل حافلة ركاب في مدينة جرمانا. وكان السؤال مباشراً: هل يُلغى الحفل؟ وهل يؤجّل إطلاق المهرجان؟ حمل وزير الثقافة محمد ياسين الصالح الإجابة إلى منصة الافتتاح، قائلاً: «لا نعطي أيدي الإرهاب والتخريب والقتل ما أرادت، ولا نجعلها تطفئ ابتسامات هؤلاء الأطفال».

وكان للمكان ما يضيفه إلى هذا المعنى؛ فالعائلات التي دخلت قلعة دمشق تلك الليلة كانت تعود إلى صرح ظل عقوداً قريباً من أعين السوريين وبعيداً عن خطواتهم، بعدما حجب النظام البائد القلعة عن الناس، واقتصرت فتحها على مناسبات وفعاليات محدودة.



لمختلِف الأعمار، بمن فيهم الأطفال نوو الإعاقة، ضمن توجه إلى تطوير التجربة وتحويلها إلى موعد سنوي يستفيد من ملاحظات دورته الأولى. مضيفاً أنّ تنوع البرنامج كان أحد العناصر الأساسية في بناء المهرجان، بحيث يجد كلٌّ من الصغير والكبير، والمرأة والرجل، ما يناسبه ويجمع له بين المتعة والفائدة والمعرفة. ووصف المسرح بأنه «درة المهرجان»، بعدما مثّل في المدن السورية مساحة يومية متواصلة للعروض المسرحية والغنائية والإنشادية والكورالات والفنون والفرق التراثية، إلى جانب تخصيص مساحات لاستقطاب المواهب والمبدعين ودعم حضورهم. وفي الزيارة الواحدة، تنقّل الأطفال بين تشكيل الفخار وتشغيل النماذج الآلية ومراقبة السماء والمسابقات المعرفية والمسرح والكتاب، فيما وجد الكبار مساحتهم في الحرف والنشر والعروض الفنية، ضمن برنامج أتاح لكل فرد من أفراد الأسرة ما يناسب اهتمامه، مع الحفاظ على الوقت المشترك للعائلة. وقدمت «مدينة الاكتشافات» تجارب تفاعلية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الفضاء، فيما عزّزت فعالية «التاجر الصغير» الأطفال إلى مبادئ العمل والتبادل وتحمل المسؤولية، وجمعت ساحات الألعاب أنشطة حركية وتفاعلية شارك فيها الأطفال وذووهم. وامتدّ التفاعل العائلي إلى البرنامج المسرحي؛ إذ أدخل «تحدي سيبستون» الأسرة في مسابقة معرفية، فيما اعتمدت فعالية «مملكة البلاغة» الألعاب والأسئلة لتقريب العربية الفصحى من الأطفال.

وتنوعت خشبة المسرح بين العروض الثقافية والتوعوية، والفلكلور الشرقي والتركمانى والكردى والعربى، إلى جانب الأغنية التراثية والإنشاد والبرامج الموجهة إلى الأطفال والعائلات. وفي الموسيقى، اجتمعت الآلات الشرقية والغربية مع الأغنية التراثية، ضمن محتوى قرّب الأطفال واليا فعين من جوانب من التراث الموسيقى السوري.

أما معرض الكتاب المصغر، فجمع أكثر من أربعين دار نشر، إلى جانب

الأوقاف التعليم الديني والتأهيل العلمي والمهني والإرشاد الأسري. وفي الخامس عشر من آب، أخذت مشاركة وزارة الدفاع شكلاً مختلفاً، حين نشرت مروحيات الجيش الورود والهدايا فوق زوار قلعة دمشق. وحمل المشهد دلالة خاصة في الذاكرة السورية؛ فالمروحيات التي ارتبطت خلال سنوات النظام البائد بالقصف والبراميل المتفجرة، ظهرت هذه المرة فوق العائلات والأطفال وهي تنثر الورود.

وربط وزير الدفاع مرهف أبو قصرة المشاركة بأدوار الجيش في حماية المدنيين وإخماد الحرائق وإعادة التشجير، فيما وضع وزير الثقافة محمد ياسين الصالح المشهد في سياق العلاقة بين المواطن والمؤسسة العسكرية، ملخصاً تكامل الدورين بأن الدفاع يحمي الأرض، فيما تحمي الثقافة الوعي وتصور الذاكرة.

وفي حديثه عن الجهات التي أسهمت في إنجاز التجربة، وجّه البري الشكر إلى محافظة دمشق وإدارة المرور، وإلى الجهات الحكومية والمدنية والشركاء والفرق التي شاركت في التنظيم والدعم، مشيراً

مبادرات للقراءة وركن للفنون. وحضرت الحافلة الثقافية ضمن هذا المسار، مساحةً تقرّب الكتاب والنشاط الثقافي من الأطفال والعائلات، وتنسجم مع فكرة المهرجان في توسيع دائرة الوصول إلى الجمهور. وجاورت أجنحة الكتاب «سوق الأيادي السورية» الذي ضمّ جزّفيين ومنتجين محليين، فأوصل الكتاب والحرفة إلى جمهور أوسع من رواد المعارض المتخصصة، وخلق حول الفعاليات حركة اقتصادية مرافقة.

مؤسسات تعيد تعريف حضورها في حياة الناس

عملت وزارة الثقافة على أن يكون «صيف سوريا» مساحة تلتقي فيها اختصاصات مؤسسات عدة، وشاركتها وزارات وهيئات عامة ومنظمات مجتمعية، قدّم كلٌّ منها ما يتصل بدوره، لتوسيع محتوى المهرجان وتقريبه من اهتمامات الناس اليومية. فقدمت وزارة الرياضة والشباب أنشطة حركية وبرامج لاكتشاف المواهب، وحضرت وزارة الزراعة من خلال فعالية «الفلاح الصغير» وبرامج مرتبطة بالمرأة الريفية والمنتجات المحلية، فيما شملت مشاركة وزارة



سنوات الحرب، موضحاً أن البرنامج صُمم بما يراعي خصوصية المدينة، وجمع بين الترفيه والتثقيف، وأعطى الأطفال مساحة للفرح الآمن.

وحضرت هُويّة إِدلب في أركان التراث والمسرح والسينما، وفي إظهار مواهب الأطفال في الشعر والتمثيل، إلى جانب المكتبات والأنشطة التوعوية، فيما شاركت مديرية الطوارئ وإدارة الكوارث ببرامج عرّفت الأطفال إلى مبادئ الوقاية والإسعاف والتعامل مع الحرائق والغرق.

وافتتحت المحطة بتكريم أبناء شهداء معركة «ردع العدوان»، في خطوة رأى اليوسف أنها جمعت بين الفرح والوفاء، وحملت رسالة إلى الأطفال بأن تضحيات آبائهم حاضرة في ذاكرة المجتمع. وهكذا تحركت فعاليات إِدلب بين ما عاشته المدينة وما تريد أن تمنحه لأطفالها من مساحة للحياة والأمل.

اللاذقية.. مساحة صُممت للطفل

وفي اللاذقية، أقيمت فعاليات المهرجان في حديقة العروبة بين الرابع والعاشر من آب، ضمن تجربة أرادها

أقواس ترحيبية وتعريفية عند معبر جديدة يابوس وعدد من المعابر البرية الشمالية، إلى جانب منصة تعريفية في مطار دمشق الدولي. وجاء ذلك ضمن توجه إلى الوصول أيضاً إلى السوريين القادمين من الخارج وتعريفهم بالمهرجان وبرنامجه منذ وصولهم إلى البلاد.

بدأت أولى الفعاليات في إِدلب في الثلاثين من تموز، قبل افتتاح المرحلة المركزية في دمشق، ثم توالى المحطات في المحافظات، لتأخذ الفكرة في كل مدينة شكلاً مختلفاً دون أن تفقد خيطها الجامع بشأن الطفل والعائلة.

إِدلب.. فرح لا ينفصل عن الذاكرة

في إِدلب، توزعت الفعاليات بين الرسم والخط والمسرح والتراث والذكاء الصناعي والأنشطة الحركية والمعرفية، وسط حضور كثيف للعائلات والأطفال والكبار.

وقال مدير مديرية الثقافة في إِدلب خالد اليوسف لـ«مجلة الشام» إن المهرجان أتاح للمجتمع مساحة يستعيد فيها جانباً مما افتقده خلال

إلى أن حجم الفعاليات والإقبال الكبير عليها استدعيا تنسيقاً واسعاً بين المؤسسات لضمان تنظيم حركة الزوار وسير البرنامج.

من دمشق إلى المحافظات.. لكل محطة ملامحها

اتسعت خريطة «صيف سوريا» من دمشق إلى عشر محافظات أخرى، بإشراف إستراتيجي من وزارة الثقافة، فيما تولت مديرية ثقافة الطفل واليافيين إعداد المحتوى والتوجيه، وشاركت في التنفيذ جهات حكومية ومدينة وشركات من القطاع الخاص. وجمع المهرجان بين إطار عام واحد ومساحة تركت لكل محافظة أن تصوغ محطاتها انطلاقاً من بيئتها وتراثها وجمهورها.

وبحسب البري، طبقت برامج المهرجان في إحدى عشرة محافظة، وبلغ مجموع زوار فعالياته على امتداد الجغرافيا السورية أكثر من ثلاثة ملايين زائر.

ولم يقتصر التعريف بالمهرجان على المدن التي استضافت فعالياته؛ إذ يشير البري إلى أن حضوره امتد إلى نقاط دخول السوريين للبلاد، من خلال



المنظمون مساحة مخصصة للطفل والعائلة. وقال مدير مديرية الثقافة في اللاذقية أحمد شريقي لـ«مجلة الشام» إنه حرص على ألا تتحول الحديقة إلى مساحة للبيع والتسوق، وأن يدخلها الطفل فيجد ما حوله موجهاً إليه، ضمن برنامج جمع الترفيه بمضامين معرفية وقيمة تتصل بالتعاون واحترام الآخرين والعمل المشترك. ولم يكن الأطفال متلقين للفعاليات فحسب؛ إذ مثل أربعة عشر طفلاً المحافظات السورية في عرض مسرحي تناول التماسك المجتمعي، فيما استحضرت عروض أخرى ملامح اللاذقية وبيئتها، من البحر وغابات الساحل إلى العرس التركماني في جبل التركمان. وشاركت المراكز الثقافية في اللاذقية وجبله وعين الشرقية، إلى جانب معرض للفنون التشكيلية والتطبيقية، ومعهد العجان للموسيقا، ومعرض للكتاب، وأكثر من خمس عشرة جمعية أهلية قدّمت مسابقات وأنشطة ثقافية وتعليمية. كما ضم البرنامج كوخاً للقراءة وتحدياً للقراءة. وبحسب شريقي، وصل عدد الزوار في بعض الأيام إلى نحو خمسة آلاف، ودفع الإقبال بعض الجمهور إلى المطالبة بتمديد الفعاليات. ورأى أن تنوع الحضور من مختلف مكونات المجتمع المحلي كان من أبرز ما كشفت عنه التجربة، إذ اجتمع الناس في مساحة عامة حملت في حضورهم المشترك معنى يتجاوز البرنامج نفسه.

حلب..

المستقبل يبدأ من ذاكرة المدينة

وفي حلب، احتضن سوق الإنتاج فعاليات «صيف سوريا» بين الثاني عشر والسادس عشر من آب، وحضر الطفل في قلب البرنامج، فيما مثل تراث المدينة أحد المداخل لتعريفه بالمكان الذي ينتمي إليه.

وقال مدير الثقافة في حلب أحمد وديع العبسي لـ«مجلة الشام» إن الفعاليات تنوعت بين مسرح الطفل والبرامج الفنية والتراثية، وأتاحت للأطفال التعرف إلى جوانب من التراث اللامادي للمدينة. وامتدت المشاركة إلى الأسرة

عبر مبادرة لتوثيق التراث الشفوي، تضمنت جمع عشرات الحكايات الموجهة إلى الصغار بالتعاون مع حركة الفنّ الحلي، لتصبح الذاكرة المتناقلة داخل البيوت نفسها جزءاً من محتوى المهرجان. ويرى العبسي أن الطفل هو «اللينة الأهم» في تشكيل مستقبل سوريا، وأن الاهتمام به يعني الاهتمام بالصورة التي سيكون عليها هذا المستقبل. وفي مدينة غنية بثقافتها وتراثها مثل حلب، وجد أن هذا البناء يحتاج إلى جذور تربط الأطفال بمدينتهم «قولاً وفعلًا».

ووضع العبسي المهرجان في إطار تجربة أولى يمكن تطويرها وتكرارها سنوياً، بحيث تصبح الدورات المقبلة أكثر تنوعاً وقدرة على استقطاب الجمهور وترك أثر يتجاوز أيام الفعاليات.

حماة..

صيف سوريا بين نواحيها ومدنها

وفي حماة، اتخذ مهرجان «صيف سوريا» شكلاً متنقلاً، فلم تقتصر فعالياته على مركز المحافظة، بل امتدت على مدى عشرة أيام، من 15 حتى 24 آب، بين مدينة حماة ومصيف وسلمية ومحرده والسقيلية. ويربط مدير مهرجان «صيف سوريا» في حماة ورئيس دائرة ثقافة الطفل عبد الغفور رمضان، في حديثه لـ«مجلة الشام»، هذا الامتداد بمبدأ «العدالة الثقافية»، عبر إيصال الأنشطة إلى الأهالي والأطفال في مناطقهم، وتنشيط المراكز الثقافية خارج مركز المحافظة.

وحضرت خصوصية حماة أيضاً في المكان؛ إذ أقيمت فعاليات المدينة إلى جوار إحدى أشهر نواحيها، فارتبط



مشهد المهرجان بأحد أبرز رموز المحافظة، فيما حمل البرنامج في تنقله بين مناطقها مزيجاً من الثقافة والفنون والترفيه والتراث المحلي والتعليم واكتشاف المواهب، مع إبقاء العائلة والطفل في ضلَب التجربة.

ما بعد المهرجان.. ماذا يبقى؟

كشف الإقبال على فعاليات «صيف سوريا» عن حاجة العائلات إلى مساحات عامة تجمع أفرادها، وتضع الثقافة والترفيه والعلوم والرياضة ضمن تجربة واحدة.

ويقول البرّي إن ما يلي الدورة الأولى يبدأ بتقويم التجربة ورصد نقاط قوتها وما تحتاج إليه من تطوير، تمهيداً لرفع جودة المهرجان في العام المقبل. وتشمل الخطط إعادة تهيئة بعض البنى التحتية المرتبطة بالألعاب والفعاليات، وتطوير تجربة قلعة دمشق بما يتناسب مع رمزياتها وأهميتها، ولا سيما من خلال تفعيل المسار السياحي وإتاحة زيارة القلعة وأبراجها بصورة أوسع، إلى جانب تطوير آلية اختيار المشاركات لتكون الدورة المقبلة أكثر غنى وتميزاً.

ويضع البرّي معياراً أبعد للدورات المقبلة فيما يحمله الزائر معه عند المغادرة؛ إذ يطمح إلى أن تترك التجربة لديه حصيلة علمية وثقافية وتربوية واجتماعية، ضمن ترفيه ذي بعد قيمي وأخلاقي، وأن تتطور الدورة المقبلة بما يواكب مستوى الجمهور وتطلعاته.

ومع أكثر من ثلاثة ملايين زائر توزعوا على إحدى عشرة محافظة، كان حجم الحضور أحد أبرز ما سجلته الدورة الأولى من «صيف سوريا». فالرقم، على ضخامته، لا يختصر أثر المهرجان، لكنه يكشف اتساع الحاجة إلى مساحات عامة تجمع العائلة وتصل بالثقافة إلى الناس خارج حدود المراكز التقليدية.

وبين قلعة دمشق والمدن والقرى التي وصل إليها المهرجان، انتهت الفعاليات وبقي أمام التجربة اختبارها الأهم: كيف يتحول حضور تجاوزه ثلاثة ملايين زائر إلى أثر يستمر بعد الصيف، وكيف تبني الدورة المقبلة على هذا



محافظة. رقم يمنح المهرجان نقطة انطلاق قوية، فيما تتحدد قيمته الأبعد بقدرته على تحويل هذا الحضور الواسع إلى تجربة أكثر رسوخاً واتساعاً في الدورات المقبلة.

الإقبال لتصل أبعد وتترك أثراً أعمق؟ ومع اختتام الفعاليات، يبقى الرقم الأبرز للدورة الأولى: أكثر من ثلاثة ملايين زائر في إحدى عشرة

سيرة الخط العربي ومسيرته في ملتقى الخطاطين السوريين



مجلة الشام - مريم حجير

من نقش النمار في بادية السويداء إلى قصة خطاط تتحرك اليوم فوق الورق في دمشق، امتدت رحلة الحرف العربي عبر سطوح ومدارس وأدوات تبدلت مراراً، فيما بقيت معرفته تنتقل بالطريقة الأقدم: من يد إلى أخرى، ومن أستاذ إلى تلميذ.

وفي المركز الوطني للفنون البصرية بالبرامكة، استعاد الملتقى السوري لفن الخط العربي والزخرفة، الذي أقيم بين 10 و20 آب 2026 بعد تمديد فعالياته بسبب الإقبال الذي شهدته، استعاد جانباً من هذه السلسلة.

لم تكن اللوحات وحدها في الواجهة، فإلى جوارها كانت طاولات يتحلق حولها الأساتذة والطلاب، وبين أيديهم القلم والقصة والحبر والورق. وبين الجدار والطاولة، ظهر الخط بوصفه معرفة تُتعلّم وتُصحّح وتنتقل، قبل أن يصبح عملاً مكتملاً يُعلّق في معرض.

هذه الفكرة حضرت منذ الافتتاح، فبعد فيلم وثّق جماليات الخط العربي والزخرفة وكلمة الخطاطين التي ألقاها

الخطاط محمد قنا، أعاد وزير الثقافة محمد ياسين الصالح في كلمته الحرف إلى ذاكرته الحضارية السورية، من نقش النمار في بادية السويداء إلى المخطوطات والزخارف المعمارية،

متوقفاً عند تطور مدارسه من الكوفي إلى النسخ والتثلث والديواني والرقعة. وربط استمرار هذا الفن بدعم الخبرة المتراكمة ونقلها إلى الأجيال الجديدة.

وفي المكان نفسه، أخذ انتقال الخبرة شكلاً أكثر مباشرة مع منح الإجازات الخطية للطلاب أحمد فؤاد حويكة، وأنس سلامة، ومحمد ياسين حجازي، وبدر قديمي، وهي إجازة يقرّ فيها الأستاذ بأهلية تلميذه، وتضع المتعلم داخل سلسلة أوسع من التلقي والممارسة. كما كرّم وزير الثقافة محمد ياسين الصالح ونائبه سعد نعسان عدداً من أعلام الخط السوري، هم الخطاطون عثمان طه، ومصطفى محمد النجار، وعدنان الشيخ عثمان، وفیصل الخطیب، إلى جانب أعضاء اللجنة المنظمة.

أما في قاعات العرض، فبدت حصيلة هذه المسارات بأشكال مختلفة، أعمال تستند إلى القواعد الكلاسيكية، وأخرى تبحث عن تكوينات أكثر معاصرة، وخطاطون راكموا سنوات من الممارسة إلى جانب تجارب شابة ما تزال تبني علاقتها بالحرف. ومن هذا التجاور ظهرت إحدى قضايا الملتقى الأساسية: البصمة

الخط، في رؤيته،
فنّ يحمل الذاكرة
ويمنح اللغة صورتها
الجمالية، ويحتاج
إلى مؤسسة تحول
العناية به من نشاط
مرتبط بالمواسم
إلى عمل يمتد
على مدار العام.



الخط إلى عملية منهجية مستمرة عبر مراكز تخصصية، وثانيها خلق بيئة إنتاجية وسوق عمل تمنح الخطاط استقراراً مادياً وتفرغاً إبداعياً من خلال ربط الخط بالمشروعات الرسمية والتراثية، فيما يقوم المسار الثالث على رعاية الطاقات الواعدة ببرامج إشرافية طويلة الأمد، وتوثيق إرث المدرسة الشامية ونقله إلى الأجيال المقبلة.

وما وضعه الآغا في إطار مؤسسي، ظهرت بعض عناصره في الملتقى بصورتها المباشرة، فقبل الوصول إلى سوق العمل أو برامج الرعاية طويلة الأمد، تبدأ المعرفة من علاقة أبسط بين أستاذ ومتعلم، وأداة في اليد، وتصحيح يتكرر حتى يستقيم الحرف.

وتتنوع مسارات التدريب من التذهيب وتقنياته الدقيقة مع الفنانة سارة عثمان، إلى خصائص الخط الديواني مع الخطاط أنس فتوح، وخط الرقعة مع الخطاط ومنسق الملتقى مرهف عبد الحميد، الذي ركز على وضوحه وسرعته وخصائص حروفه وتكوينه. وفي هذه المساحة لا تكفي معرفة شكل الحرف أو حفظ نسبه، فمع التمرين تبدأ القاعدة

ويحتاج إلى مؤسسة تحول العناية به من نشاط مرتبط بالمواسم إلى عمل يمتد على مدار العام. ووضع الآغا لهذا التصور ثلاثة مسارات متكاملة، أولها تحويل تعليم

الخاصة لا تبدأ من تجاوز الأصول، بل من المرور الطويل بها. غير أن الوصول إلى هذه البصمة يفترض وجود طريق يتيح للخطاط أن يتعلم ويتمرن وتتراكم خبرته. ومن هنا اتسعت دلالة الملتقى من عرض المنجز إلى استمرارية المعرفة التي تقف خلفه، فتعليم الخط لا يعيش بالمعارض وحدها، ولا تنتقل خبرته عبر المناسبات المتباعدة.

وفي حديثه لـ«مجلة الشام»، ربط مشرف فعاليات الخط العربي في وزارة الثقافة والمشراف العام للملتقى نضال آغا، استمرار تعليم الخط ونقل خبرته بالانتقال من المعارض الموسمية وملتقيات العرض العابرة إلى مسار مستدام.

وأضاف الآغا أن تحقيق ذلك يقتضي «إرساء قاعدة مؤسسية صلبة، تتمثل في تأسيس هيئة مستقلة تتبع لوزارة الثقافة، تُعنى حصراً بهذا الفن الجليل»، مستنداً إلى مكانة الخط وصلته باللغة والهوية والذاكرة الجمالية العربية والإسلامية. فالخط، في رؤيته، فن يحمل الذاكرة ويمنح اللغة صورتها الجمالية،

الأستاذ ينقل إلى تلميذه في هذه المرحلة

«روح الخط

وأسرار التوازن

الخفي والإيقاع»،

وهي معرفة

تنمو بالمشاهدة

والملازمة والتكرار.



فشملت الورشات الخط الكوفي المصحفي بإشراف الخطاط أحمد كمال، والنستعليق مع الخطاط محمد قنا، والنسخ مع الخطاط عبد الناصر المصري، والديواني مع الخطاط محمد سعيد. وبين البناء الهندسي للكوفي، وميل النستعليق ورشاقتة، ووضوح النسخ، وانسياب الديواني، ظل ضبط النسب والدربة الطويلة أرضيةً مشتركة لهذه المدارس.

لكن القاعدة التي تضبط الحرف لم تكن وحدها موضع الاختبار في الملتقى؛ فإلى جواره حضرت الزخرفة، وفيها بدت العلاقة نفسها بين معرفة الأصل والقدرة على تطويره. فهي تقوم على قواعد وتكوينات متوارثة، دون أن تنتهي عند تكرارها، إذ تتيح للفنان إعادة تأليف عناصرها وبناء علاقاتها وفق رؤيته الخاصة.

وفي الزخرفة أيضاً، لا ينفصل التطوير عن معرفة الأصول. وتوضح مدرّسة الزخرفة الإسلامية في المعهد التقني للفنون التطبيقية وعضو لجنة تحكيم الأعمال منال كوجك لـ«مجلة الشام» أن الزخرفة العربية حافظت على منطقتها وقواعدها وشخصيتها، فيما تقع مسؤولية صونها وتطويرها على الفنّان المزخرف.

اختيار النص ونوع الخط، مروراً بدراسة أشكال الحروف وعلاقاتها، وصولاً إلى بناء التكوين وتنفيذ القالب النهائي. وقدّم الخطاط محمود عبد اللطيف دوشو قواعد خط الرقعة وصلته بالكتابة اليومية، فيما تناول الخطاط حسين شاقولة الخط الديواني الجلي بما يتطلبه من دقة في تشابك الحروف وملء الفراغات وبناء التوازن البصري. ومن بناء اللوحة اتسعت خريطة التدريب إلى اختلاف المدارس نفسها، وما تفرضه كل واحدة منها من منطق للحرف وتكوينه.

الزخرفة العربية

حافظت على

منطقها وقواعدها

وشخصيتها، فيما

تقع مسؤولية

صونها وتطويرها

على الفنّان

المزخرف.

بالانتقال من المعرفة إلى الممارسة، ويصبح المتعلم أكثر وعياً بعلاقات الحروف وكتلتها وفراغاتها، ومع هذه النقلة، يبرز دور الأستاذ في مرافقة المتعلم وتصحيح تجربته.

وأوضح الخطاط ومنسق الملتقى مرهف عبد الحميد لـ«مجلة الشام» أن هذا التحول يبدأ حين تستقر القواعد بصرياً ويدوياً، فتمنح الخطاط قدرةً واعيةً على التصرف بكتل الحروف وفراغاتها. وأوضح أن الأستاذ ينقل إلى تلميذه في هذه المرحلة «روح الخط وأسرار التوازن الخفي والإيقاع»، وهي معرفة تنمو بالمشاهدة والملازمة والتكرار.

وما يصفه عبد الحميد يجد صورته العملية في المجلس، فالأستاذ يتابع حركة اليد، ويصحح النسب والمسافات وعلاقات الحروف، ويعيد المتعلم إلى المحاولة حتى تصبح القاعدة جزءاً من ممارسته، لا معلومةً يستحضرها في كل مرة.

وحين يستقر ميزان الحرف في العين واليد، تتسع الخبرة من كتابة الحرف منفرداً إلى بناء اللوحة وعلاقاتها الداخلية. وهنا يدخل اختيار النص ونوع الخط وتوزيع الحروف والفراغات في صلب العمل. وشرح الخطاط صلاح الخضر مسار صناعة العمل الفني بدءاً من





وأضافت كوجك أن الفنان يستطيع أن ينهل من القواعد الغنية للزخرفة، وأن يعمل على تطويرها وتوظيفها ضمن إبداعه ورؤيته الشخصية. وتبدأ الإضافة، وفق رؤيتها، من الإلمام بمدارس هذا الفن، وفهم تكويناتها ووحداتها وتناسب مفرداتها وتناغم ألوانها، ثم التأليف بينها في لوحة مكتملة الإيقاع، تتوازن فيها مساحات الفراغ والامتلاء.

وتوضح كوجك أن المزخرف يمكنه أن يجمع بين العناصر الهندسية والنباتية في تكوينات غير متناظرة، وأن يبتكر علاقات جديدة بين اللون والمفردة والمساحة، مع حفظ التناسق ووحدة العمل. واستحضرت مدرّسة الزخرفة الإسلامية تجربة الأندلس، حيث طوّع الفنان الورق والحجر، وترك نماذج ظل جمالها شاهداً على قدرة الزخرفة على التطور داخل أصولها.

وما تطرحه كوجك في الزخرفة يلتقي مع المسار الذي يقطعه الخطاط نفسه؛ فبعد رسوخ الأصول وتراكم الممارسة، تبدأ ملامح الأسلوب الخاص بالظهور. وفي السياق نفسه، أوضح الخطاط والفنان السوري أحمد البشير لـ«مجلة الشام» أن الطريق يبدأ باستيعاب أصول الخط وإتقانها، مؤكداً أن «دخول هذا العالم يتطلب، في المقام الأول، استيعاب هذه الأصول وإتقانها بلا تفريط».

ثم تأتي، وفق الخطاط أحمد البشير، مرحلة الحضور الفني عبر المسابقات والمعارض والملتقيات المتخصصة، حيث يختبر الخطاط كفاءته، وتتسع خبرته، ويترسخ اسمه داخل الوسط الفني. ومع تراكم التجربة يصل إلى مرحلة التميز وتكوين البصمة الخاصة؛ فيصوغ رؤيةً بصريةً تعبر عن فلسفته، ويقدم أعمالاً تُعرف بقوة حروفها ونظرتها المختلفة، مع بقاء الصلة بالروح الأصيلة للخط العربي.

في النهاية، جمع الملتقى حلقات لا يستمر الخط دون اتصالها: معرفة تُتلقّى، وخبرة تُمارس، وإجازة تُمنح، ومساحة تُختبر فيها التجربة. ومن النمارة إلى دمشق، بقي الحرف حياً بقدر ما بقي قابلاً للتعلّم والانتقال وإعادة الكتابة، فالتراث هنا ليس ما وصل إلينا فحسب، بل ما ننجز في نقله إلى من بعدنا.



خلال زيارة ماكرون لدمشق.. اتفاق سوري-فرنسي لحماية الآثار وتأهيل المتاحف



وتمتد الاتفاقية ثلاث سنوات، وتشمل دعم البحث والتعليم من خلال المنح الدراسية، وتنفيذ مشروعات لترميم المقتنيات المحفوظة في المتاحف، وتوفير المواد اللازمة للتدخل الطارئ وإعادة تأهيل المواقع الأثرية المتضررة. كما تنصّ على تدريب الكوادر الوطنية وتعزيز خبراتها في مجالي التوثيق الأثري وإدارة المتاحف، وإرسال بعثات متخصصة لتقييم المقتنيات المتحفية ومصح الأضرار التي لحقت بالمواقع الأثرية، إلى جانب تنظيم معارض مشتركة ودعم مشروعات إعادة تأهيل المتاحف السورية.

وقّعت المديرية العامة للآثار والمتاحف، والمعهد الوطني للتراث الفرنسي، والمعهد الفرنسي للشرق الأدنى، في قصر الشعب بدمشق، اتفاقية ثلاثية لحماية التراث الثقافي السوري وصونه، وذلك ضمن برنامج زيارة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لسوريا في تموز 2026.

ووقع الاتفاقية عن الجانب السوري المدير العام للآثار والمتاحف الدكتور مسعود بدوي، وعن الجانب الفرنسي مدير المعهد الفرنسي للشرق الأدنى كمال دوري، بحضور وزير الثقافة محمد ياسين الصالح ونائب الوزير سعد نعسان.



بعد خمسة عشر عاماً في باريس سوريا تستعيد 23 قطعة أثرية



فسيفساء ملونة كانت تزين الجامع الأموي بدمشق. وُغِض عدد من القطع في المتحف الوطني بدمشق عقب تسليمها وفحصها ومطابقتها مع السجلات المتحفية، على أن تعاد لاحقاً إلى المتاحف السورية التي تنتمي إلى مجموعاتها.

رحلة صيد، إلى جانب نقش باللغة التدمرية ومنحوتات أخرى. وتضم القطع أيضاً أجزاء من لوحات جدارية ملونة من قصر الحير الغربي، وحشوة باب محفورة بزخارف نباتية من قلعة جعبر، وقطعاً برونزية رومانية وآثاراً بيزنطية وإسلامية، إلى جانب جزء من

استعادت سوريا، في تموز 2026، ثلاثاً وعشرين قطعة أثرية بقيت في معهد العالم العربي بباريس نحو خمسة عشر عاماً، ووصلت إلى دمشق على متن الطائرة الرئاسية الفرنسية، ضمن زيارة الرئيس إيمانويل ماكرون لسوريا.

كانت القطع قد أُعيرت من متاحف دمشق وحلب واللاذقية وتدمر لمعهد العالم العربي قبيل اندلاع الثورة السورية، وكان مقرراً أن تعاد عام 2014. غير أن قمع نظام الأسد للثورة وما أعقبه من قطيعة دبلوماسية وعزلة دولية، حال دون عودتها في موعدها. وتختصر المجموعة آلاف السنين من تاريخ سوريا، إذ تمتد من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الإسلامية.

ومن أبرزها تمثال من مدينة ماري في تل الحيري، وقطعة تحمل كتابات صفائية، وهي نقوش قديمة دُونها عرب الشمال بخط مشتق من الخط المسند، وجزء من إفريز تدمري، وهو شريط أفقي مزخرف يصوّر



سوريا في الدورة الأربعين من مهرجان جرش



شاركت وزارة الثقافة في تموز 2026 في الدورة الأربعين من مهرجان جرش للثقافة والفنون، ضمن زيارة رسمية للمملكة الأردنية الهاشمية، ترأس خلالها وزير الثقافة محمد ياسين الصالح وفداً ثقافياً وفنياً سورياً. وشارك الوزير والوفد المرافق في افتتاح المهرجان، الذي أقيم تحت شعار «إرث يمتد... أجيال تلتقي»، فيما قدمت فرقة «دانس» في 28 تموز عروضاً فنية وتراثية مستوحاة من الرقصات والأزياء والموسيقى الشعبية في عدد من البيئات السورية. وامتد برنامج الزيارة إلى العاصمة عمّان، حيث التقى الوزير الصالح نظيره الأردني مصطفى نصر مصطفى الرواشدة في المركز الثقافي الملكي، وبحث الجانبان العلاقات الثقافية بين البلدين، وتحديث الاتفاقيات القائمة، وتطوير برامج مشتركة في مجالات الفنون والتراث والنشر والتبادل الثقافي، كما شملت الزيارة جولة في مرافق المركز وبرامجه الثقافية والفنية. ولتّى الوزير دعوة معهد السياسة والمجتمع للمشاركة في جلسة حوارية بعنوان «سوريا الجديدة.. الدبلوماسية الثقافية وتحدياتها»، بحضور باحثين وكتاب وناشرين وشخصيات سياسية وثقافية أردنية. وتناولت الجلسة واقع العمل الثقافي السوري، ودور الدبلوماسية الثقافية، ومجالات التعاون السوري الأردني.





وشمل البرنامج زيارة دائرة المكتبة الوطنية الأردنية، حيث التقى الوفد مديرها العام فراس الضاربة، وجال في أقسامها المعنية بحفظ الوثائق والمخطوطات والأرشيف الوطني، وتناول اللقاء آليات الرقمنة وصيانة المجموعات الوثائقية وإتاحتها للباحثين، وفرص تبادل الخبرات بين المؤسسات المعنية بالمكتبات والتوثيق في البلدين.

كما زار الوفد متحف الحياة البرلمانية، وجال في قاعاته التي تضم وثائق وصوراً ومقتنيات تسجل مراحل تطور الحياة السياسية والنيابية في الأردن، واستمع إلى شرح عن أساليب حفظها وعرضها.

وفي موقع جبل القلعة في عمّان، شملت الزيارة جولةً في معالمه الأثرية والتاريخية، وفي مقدمتها القصر الأموي، وتناولت الجولة تاريخ الموقع وخصائصه المعمارية وقيّمته الحضارية، وما يضمه من شواهد تؤثّق تعاقب الحضارات على أرض الأردن.

واختتم برنامج الجولات بزيارة متحف الأردن، حيث استقبل مديره العام إيهاب عمارين الوزير والوفد المرافق، وقدم شرحاً عن مجموعات المتحف الأثرية والتاريخية وطرق حفظها وتوثيقها وعرضها، وما تسجله من مراحل متعاقبة في تاريخ الأردن والمنطقة.



34 فناناً سورياً يجتمعون في معرض «دمشق بتجمعنا»



وفن الفيديو والتصوير الفوتوغرافي، إلى جانب أعمال مشغولة بالخيوط والإبرة، بما أظهر تعدد التقنيات والخامات والوسائط الفنية. وجمع المعرض تجارب تنتمي إلى أجيال ومدارس وأساليب مختلفة، وأعاد وصل الفنانين السوريين في الداخل والخارج ضمن مساحة عرض واحدة. وحضر الافتتاح نائب وزير الثقافة سعد نعسان، والسفير الإيطالي في دمشق ستيفانو رافانيان.

شهد فضاء «ذي خان» في شارع مدحت باشا بدمشق افتتاح معرض «دمشق بتجمعنا»، برعاية وزارة الثقافة وإشراف إدارة الفنون الجميلة، وتنظيم «غاليري قزح» بالتعاون مع «غاليري أوريانيسيت» في دبي، بمشاركة 34 فناناً تشكلياً سورياً من داخل البلاد وخارجها. المعرض المستمر حتى الثالث من أيلول يقدم صورة متعددة الجوانب عن الفن التشكيلي السوري المعاصر، عبر أعمال تنوعت بين التصوير والنحت والحفر والفنون التركيبية



التكية السليمانية متابعة ترميم أحد أبرز معالم دمشق التاريخية



أجرى وزير الثقافة محمد ياسين الصالح، ووزير السياحة مازن الصالحاني، ووزير الأوقاف محمد أبو الخير شكري، ومحافظ دمشق ماهر مروان إدلبي، جولةً مشتركة في التكية السليمانية بدمشق، لمتابعة سير أعمال الترميم ونسب الإنجاز وجودة الأعمال المنقذة. وشملت الجولة أقسام التكية ومرافقها، واستمع الوزراء إلى شرح عن مراحل تنفيذ المشروع، والأعمال المنجزة والجارية، والإجراءات الفنية المتبعة في ترميم العناصر المعمارية والحفاظ على خصائص المبنى التاريخية، إلى جانب متطلبات استكمال الأعمال والتنسيق بين الجهات المعنية، وفق المعايير الخاصة بترميم المباني الأثرية.

وكانت وزارة الثقافة، عبر المديرية العامة للآثار والمتاحف، قد بدأت مطلع عام 2025 أعمال إعادة تأهيل التكية، وتركزت المرحلة الأولى على معالجة الأخطاء والتعديلات الناتجة عن أعمال الترميم السابقة، بالتعاون مع الجهات المعنية وخبراء من جامعة دمشق وخبراء دوليين. وفي كانون الأول من العام نفسه، أعلن الاتفاق مع وكالة التعاون والتنسيق التركية «تيكا» على استكمال المشروع، بالتعاون مع وزارة الأوقاف ومنظمة التنمية السورية.

وتعود التكية السليمانية إلى منتصف القرن السادس عشر، إذ صمّمها المعماري العثماني سنان بأمر السلطان سليمان القانوني، وهي تضمّ مسجداً ومدرسةً ومرافق خُصصت للحجاج وطلبة العلم، إلى جانب سوق للجذّفيين.



آثار الازقية بين أعمال الحماية وتحديات الترميم



ناقشت وزارة الثقافة واقع العمل الأثري في محافظة الازقية، خلال زيارة ميدانية لدائرة الآثار شملت أقسامها المختلفة، لتطلع على الأعمال الجارية في مجالات التنقيب والترميم وحماية المواقع الأثرية. وقدمت كوادر الدائرة عرضاً للصعوبات الفنية واللوجستية التي تواجه عملها، والحاجات اللازمة لاستمرار أعمال التوثيق والصيانة والترميم، وتعزيز إجراءات حماية المواقع والمقتنيات الأثرية في المحافظة. وتناولت الزيارة أولويات تطوير العمل في الدائرة، وسبل دعم أقسامها وتلبية حاجاتها ضمن الإمكانيات المتاحة، بما يساعد على رفع كفاءة العمل وصون التراث الأثري في الازقية.



مكتبة معضمية الشام تفتح أبوابها



افتتح وزير الثقافة محمد ياسين الصالح المكتبة العامة في مدينة معضمية الشام، بعد استكمال أعمال تأهيلها من مجلس المدينة بالتعاون مع منظمة «مارس»، لتكون أول مكتبة عامة تفتتح في ريف دمشق بعد التحرير. وتضم المكتبة مجموعة من الكتب في الأدب والثقافة والتاريخ والعلوم، إلى جانب جناح للأطفال وأجهزة حاسوب وخدمة إنترنت، ومساحات مخصصة للقراءة والتعلم والأنشطة الثقافية والمجتمعية.





المرأة والقصيدة أصوات سورية في «أمسية الشعراء»

بين دمشق والرحيل وذاكرة المدن، تنقّلت قصائد «أمسية الشعراء» التي استضافتها المكتبة الوطنية السورية بدمشق، بحضور السيدة الأولى لطيفة الدروبي ووزير الثقافة محمد ياسين الصالح. وشاركت في الأمسية خمس شاعرات سوريات، قدّمن نصوصاً تقاطعت فيها التجارب الشخصية مع سنوات الثورة والنزوح وما خلّفته في حياة السوريين. وافتتحت الطفلة وتين المصري الأمسية بإلقاء قصائد تناولت دمشق والثورة، فيما قدّمت ابتسام الصمادي قصيدة «التغريبة السورية»، مستعيدةً فيها تجربة السوريين مع الرحيل وما رافقها من غياب وخسارات. وحضرت دمشق في قصيدة لبسمة شيخو، بينما استعادت خزامى الشلبي ذكرى ابنها الراحل بدر في نص عن الأمومة والفقد. وقدّمت صفية الدغيم نصوصاً عن الثورة السورية وأبطالها، إلى جانب قصيدة عن الغياب والانكسار، فيما اتسعت جغرافيا الأمسية في نصوص آلاء مصطفى علي، التي استحضرت إدلب وحماة والمعرة وحلب وحمص ودرعا، وتطرّقت إلى النزوح والمخيمات وتجربة المرأة السورية.



وزارة الثقافة في «ناس تكس 2026» حكاية النسيج السوري عبر العصور



بمراحل صناعة البروكار الدمشقي ونقوشه، كما شاركت مبادرة «نول البادية» بمنتجات صنعتها سيدات من تدمر، شملت البسط والسجاد والحقائب والمنسوجات القطنية والصوفية. وتضمّن البرنامج الثقافي محاضرتين؛ تناول الباحث خالد الفياض في الأولى رحلة النسيج السوري عبر التاريخ، فيما استعرض المدير العام للآثار والمتاحف الدكتور مسعود بدوي في الثانية شواهد صناعة النسيج السوري في المكتشفات الأثرية. أما البرنامج الفني، فشمّل عروضاً قدّمها «تجمع صور من التراث» وفرقة «كارني» للتراث الأرمني، إلى جانب مشاركة المغني التركماني محمود جوشقن بمرافقة فرقة الموسيقى التراثية السورية. واختتم البرنامج بعرض لفرقة «آشتي» للتراث الكردي، تضمّن لوحات فلكلورية وفقرات غنائية، بالتزامن مع اختتام المعرض في 21 تموز 2026.

برعاية السيد رئيس الجمهورية أحمد الشرع، أقيمت في مدينة المعارض بدمشق، من 18 إلى 21 تموز 2026، الدورة الأولى من معرض سوريا الدّولي للنسيج «ناس تكس 2026»، تحت شعار «ننسج قصتنا»، بمشاركة أكثر من 300 شركة من أكثر من 20 دولة. وشاركت وزارة الثقافة في المعرض بجناح قدّم مساراً لتاريخ النسيج السوري، وعرض نماذج من الأزياء التقليدية من مختلف المحافظات، بما تتميز به من تنوع في الأقمشة والألوان والتطريزات، إلى جانب منتجات من البروكار والدامسكو والحريز، وأعمال الكروشيه والطباعة على القماش. وزار وزير الثقافة محمد ياسين الصالح المعرض، وجال في أجنحته وما ضمّته من خطوط إنتاج وتجهيزات ومنتجات نسيجية، كما زار جناح الوزارة وتابع جانباً من فعالياته. وشهد الجناح عروضاً حيّة على النول التقليدي، عرّفت



تكريم فريق متطوعي وزارة الثقافة يوثق حصيلة مبادراته المجتمعية



وتحدّث عدد من المتطوعين عن تجاربهم، وما أتاحه لهم العمل التطوعي من فرص لاكتساب المهارات، وبناء الصداقات، وتعزيز الثقة بالقدرة على المبادرة والعمل الجماعي وصنع أثر في محيطهم.

وأكد الوزير أن الشباب ركيزة أساسية في بناء المشهد الثقافي، وأن المتطوعين شركاء في مسيرة البناء، بما يقدمونه من أفكار ومبادرات تجعل الثقافة أقرب إلى الناس وأكثر حضوراً في حياتهم، كما دعا إلى تعزيز دور الثقافة في نشر الوعي، ومواجهة خطاب الكراهية والمعلومات المضللة، وترسيخ قيم المواطنة والمسؤولية والعمل الجماعي.

كرّم وزير الثقافة محمد ياسين الصالح أعضاء الفريق التطوعي في الوزارة، خلال فعالية أقيمت في المكتبة الوطنية بدمشق، تقديرًا لشباب منحوا من وقتهم وجهدهم للمشاركة في مبادرات ثقافية ومجتمعية، وجعلوا من التطوع مساحة للعمل والتعلّم وخدمة المجتمع.

وأضاءت الفعالية على تجربة الفريق والمشروعات التي شارك في تنفيذها، وفي مقدمتها «الحافلة الثقافية»، التي حملت الأنشطة الثقافية والفنية والترفيهية إلى الأطفال في عدد من المدن والمناطق السورية، وحملة «النظافة ثقافة»، التي ربطت العناية بالمكان بالوعي والمسؤولية المجتمعية.

القباني والحمراء.. دراسات تمهّد لإعادة التأهيل



دخل مشروع إعادة تأهيل مسرحي القباني والحمراء في دمشق مرحلة الدراسات الهندسية، إذ بدأت مديرية التوريد والدعم في وزارة الثقافة جولات ميدانية نفذتها اللجان المختصة لإجراء الكشوف الفنية وحصر الحاجات.

وتمهّد الدراسات للانتقال إلى أعمال التأهيل، بما يشمل معالجة الحاجات الإنشائية والفنية ورفع الجاهزية التشغيلية للمسرحين.

«حكاية الفقد» في حماة

شهادات تحفظ ذاكرة مجزرة التريسة



أُحييت مديرية الثقافة في حماة الذكرى الرابعة عشرة لمجزرة التريسة، التي ارتكبتها النظام البائد في تموز 2012، من خلال فعاليات حملت عنوان «حكاية الفقد»، وفتحت مساحةً لاستعادة حكايات الضحايا عبر شهادات الناجين والشهود. وتضمنت الفعاليات ندوة حوارية شارك فيها ممثلون عن المفوضية السامية للأمم المتحدة لحقوق الإنسان، وفريق الذاكرة الوطنية في هيئة العدالة الانتقالية، ممثلًا بالكتور محمد الدغيم، إلى جانب ناجين وشهود قدموا شهاداتهم عمّا عايشوه، واستعادوا وقائع المحزنة وآثارها في حياة أبناء التريسة وعائلات الضحايا.

«سوريا.. السيمفونية الأولى» في دار أوبرا دمشق



برعاية وزارة الثقافة، نظّمت دار أوبرا دمشق أمسية موسيقية بعنوان «سوريا.. السيمفونية الأولى»، أحيائها عازف البيانو غزوان الزركلي، بمشاركة فرقة الموسيqa العربية لإحياء التراث بقيادة المايسترو صلاح قباني.

سوريا وسط الصراع الإقليمي الراهن



استضافت المكتبة الوطنية السورية محاضرةً للدكتور لقاء مكي بعنوان «سوريا وسط الصّراع الإقليمي الراهن». وتناولت المحاضرة موقع سوريا ضمن التحولات السياسية والأمنية التي تشهدها المنطقة، ومسارات الصراع الإقليمي وانعكاساته على المشهد السوري.

«إشراقة المرقب» حملة لحماية القلعة من الحرائق



الأعشاب الكثيفة المنتشرة داخل القلعة للحد من مخاطر الحرائق، وتنظيف الطريق الواصل بينها وبين قرية المرقب، بما يساهم في حماية الموقع وتسهيل وصول الزوار إليه.

أطلقت دائرة آثار طرطوس حملة «إشراقة المرقب» لتنظيف قلعة المرقب الأثرية ومحيطها، بمشاركة مؤسسات حكومية وأبناء المجتمع المحلي. وشملت الأعمال إزالة



الحافلة الثقافية تصل إلى أطفال الرقة



استضافت مدينة الرقة فعاليات «الحافلة الثقافية» على مدى أربعة أيام، متضمنة برنامجاً من الأنشطة الثقافية والفنية والترفيهية الموجهة إلى الأطفال.

وأتاح الفعاليات للأطفال مساحةً للتعلّم والتعبير عن مواهبهم والمشاركة في الحياة الثقافية، في خطوة تساهم في تجسيد رؤية الوزارة الهادفة إلى تعزيز العدالة الثقافية، وتوسيع وصول البرامج والأنشطة إلى الأطفال في مختلف المدن والمناطق السورية.

تجارب النهوض الاقتصادي في حماة



نظمت مديرية ثقافة حماة محاضرة بعنوان: «هل تأخرت سوريا في النهوض الاقتصادي؟»، قدّمها المستشار الاقتصادي الدكتور أسامة القاضي. واستعرضت المحاضرة تجارب فيتنام وكوريا الجنوبية وألمانيا الغربية وسنغافورة في تجاوز آثار الحروب والأزمات وإعادة بناء اقتصاداتها.



سوريا ضيف شرف في معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي

وقدمت للزوار جانباً من تنوع الثقافة السورية وصلتها بالمكان والتراث.

وامتد الحضور السوري إلى برنامج ثقافي تقدمه وزارة الثقافة على هامش المعرض، وشارك ضمنه نائب وزير الثقافة سعد نعسان في ندوة بعنوان «دور المؤسسات الثقافية في صناعة الهوية الوطنية»، بحضور مدير المكتبة الوطنية سعيد حجازي ومدير المعارض في الهيئة العامة السورية للكتاب مرهف عبد الجواد. وناقشت الندوة موقع المؤسسات الثقافية في بناء الهوية الوطنية ودورها في صون المكونات الثقافية وتعزيز حضورها في المجال العام. وأتاح حضور سوريا ضيف شرف مساحة أوسع للتعريف بالكتاب السوري ومؤسساته، والتواصل مع ناشرين

سوريا ضيف شرف الدورة الحادية عشرة من معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي، في أول حضور رسمي لها في المعرض، بعد مشاركات سابقة لكتاب وقراء ودور نشر سورية. وشاركت سوريا ممثلة بوزارة الثقافة، بحضور مؤسساتي جمع الكتاب والذاكرة الثقافية والتراث. وفي افتتاح المعرض، ترأس نائب وزير الثقافة سعد نعسان الوفد السوري المشارك، بحضور القنصل السوري في إسطنبول خالد هنداي، إلى جانب عدد من الشخصيات الثقافية والإعلامية وممثلي الجهات المشاركة، وأكد نعسان أهمية عودة سوريا إلى المشاركة في الفعاليات الثقافية عربياً ودولياً، وما تتيحه هذه المشاركة من فرص لتبادل الخبرات، ورعاية الترجمة، وبناء شراكات ثقافية تخدم الكتاب والقراء.

وضم الحضور السوري الهيئة العامة السورية للكتاب والمكتبة الوطنية السورية، إلى جانب عدد من دور النشر السورية. وقدمت الهيئة نحو 200 إصدار توزعت بين الأدب والفكر والترجمة والدراسات ومجالات معرفية مختلفة، بينها 30 عنواناً موجهة للأطفال، في حضور يعرّف بجانب من حركة التأليف والنشر السورية أمام جمهور المعرض. وحضرت المكتبة الوطنية السورية بما تظطلع به من دور في حفظ الكتاب والمخطوط والتراث الوثائقي السوري وإتاحته للباحثين والقراء، ليجمع الجناح بين الإصدارات الجديدة وذاكرة الكتاب السوري ومؤسساته الثقافية. واستعاد الجناح في تصميمه ملامح البيت الدمشقي، مقدماً إلى جانب الكتب نماذج من الأزياء والمصنوعات اليدوية والحرف السورية، بحيث التقت الإصدارات المعاصرة مع عناصر من الذاكرة المادية والجرفية في مساحة واحدة.





للكتاب والعرض فحسب، بل مكاناً يلتقي فيه الأطفال بعناصر من التراث والحرف والكتاب السوري، ويتعرفون من خلالها إلى جانب من ثقافة بلدهم.

وبين كتاب سوري جديد، ومخطوط تحفظه الذاكرة، وحرفة تستعيد ملامح البيت الدمشقي، وطفل يقترب من ثقافة بلده خارج حدوده، حملت المشاركة السورية في إسطنبول أكثر من وجه؛ من تقديم الإنتاج الثقافي السوري إلى بناء صلات جديدة مع المؤسسات والناشرين والقراء، وإبقاء الصلة مفتوحة بين السوريين في الخارج وذاكرتهم الثقافية.

يذكر أن فعاليات المعرض أقيمت في مركز أوراسيا للمعارض والفنون بمنطقة يني كابي في إسطنبول، تحت شعار «الحكاية مستمرة»، واستمرت من 15 حتى 23 آب 2026، بمشاركة أكثر من 300 دار نشر من أكثر من 30 دولة. وتوزع البرنامج العام للمعرض بين الندوات والمحاضرات واللقاءات الفكرية وحفلات توقيع الكتب والأمسيات الشعرية والأنشطة الفنية.

على هامش المعرض بحث بحث نائب وزير الثقافة السيد سعد نعان خلال زيارته لمؤسسة المخطوطات التركية مع رئيس المؤسسة السيد جوشكون يلماز، سبل تطوير التعاون وتبادل الخبرات في مجال حفظ المخطوطات وأرشفتها ورقمنتها وترميمها. واطّلع نائب وزير الثقافة على تجربة المؤسسة في هذا المجال، كما شملت الزيارة مستودع المخطوطات في مجمع السليمانية، ومعرض المؤسسة وقاعة القراءة والمطالعة، إلى جانب التعرّف إلى أبرز إصداراتها.

جانب من مشاركة الأطفال السوريين ضمن فعاليات جناح وزارة الثقافة في معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي بدورته الحادية عشرة، في حضور يعكس ارتباط الأجيال بثقافتها وتراثها، وقد جسّد تفاعل الزوار السوريين مع الجناح مشهداً نابضاً بالانتماء، مؤكداً أن الثقافة تبقى جسراً يصل السوريين بوطنهم ويحفظ ذاكرتهم وهويتهم

ومترجمين وفاعلين في المشهد الثقافي من بلدان مختلفة، ضمن معرض يجمع قطاع النشر العربي ويوفر مساحات للقاء والتبادل بين العاملين في صناعة الكتاب.

وعلى هامش المشاركة، امتد البرنامج السوري إلى لقاءات مؤسسية خارج أروقة المعرض؛ إذ بحث نائب وزير الثقافة سعد نعان، خلال زيارته مؤسسة المخطوطات التركية، مع رئيس المؤسسة جوشكون يلماز، سبل تطوير التعاون وتبادل الخبرات في حفظ المخطوطات وأرشفتها ورقمنتها وترميمها. واطّلع نعان على تجربة المؤسسة في هذا المجال، وشملت الزيارة مستودع المخطوطات في مجمع السليمانية، ومعرض المؤسسة وقاعة القراءة والمطالعة، إلى جانب التعرّف إلى أبرز إصداراتها، في خطوة أضافت إلى المشاركة السورية مساراً يتعلق بتبادل الخبرات في صون التراث الوثائقي والمخطوط.

وفي جناح وزارة الثقافة، كان للأطفال السوريين حضورهم أيضاً ضمن الفعاليات والأنشطة المقدمة، في مشهد أضاف بعداً آخر إلى المشاركة. فبالنسبة إلى كثير من العائلات السورية المقيمة في تركيا، لم يكن الجناح مساحة



«من الطين نبني» يستعيد معرفة البناء المحلية برؤية معاصرة



بين عينات التربة وقوالب اللّبن ونماذج البناء، أعاد معرض «من الطين نبني».. آفاق معاصرة للبناء بتقنية اللّبن» مادةً من أقدم مواد العمارة إلى طاولة البحث والتجريب، مستكشفاً إمكانياتها في التطوير والتوظيف ضمن أسئلة العمارة السورية اليوم، وفي صون هُويّة المكان وخصوصيته العمرانية، بعد أن ارتبط حضورها طويلاً بالماضي والتراث.

واحضنت كلية الهندسة المعمارية بجامعة دمشق في 13 آب 2026 المعرض الذي قدّم نتاج ورشة تطبيقية بادرت إليها المهندسة المعمارية إسراء يعرب الشرع، الخبيرة في ثقافة البناء والمواد المحلية والباحثة المشاركة في مختبر «كراتير» للعمارة الترابية، ضمن وحدة أبحاث «العمارة والبيئة وثقافات البناء» في فرنسا.

وأشرفت الشرع على تدريب مجموعة من المهندسين والمهندسات الشباب على تقنيات البناء بالطين واللّبن، بمشاركة جهات مجتمعية وهندسية بينها منظمة «ساي بيلد» ومؤسسة أركان ومنصة تُراب ومَدَد الهندسي.

وانتقلت التجربة من الشرح إلى الممارسة؛ إذ قدّم المشاركون عينات من التربة جلبوها من مناطق سورية مختلفة في حالتها الجافة والرطبة، إلى جانب قوالب لصب اللّبن وتشكيله، وأتاحوا للزوار اختبار المواد والتعرّف إلى خصائصها مباشرة.

كما استعرضت الشرع تطور العمارة الترابية من خلال نماذج سورية وتجارب عالمية، وربطت استخدام المواد المحلية بدراسة القوة والمتانة ومدى ملاءمة كل مادة للبيئة والمناخ، وخصوصاً في مشروعات الترميم وإعادة الإعمار.

وفي افتتاح المعرض، وضع وزير الثقافة محمد ياسين الصالح التجربة ضمن سياق أوسع يتصل بحفظ

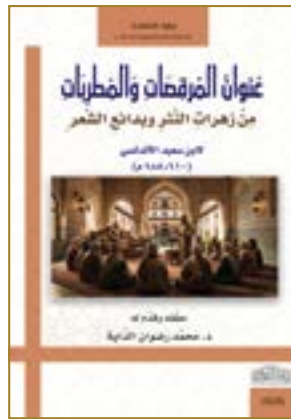
هو عملٌ هندسي». ويعيد «من الطين نبني» طرح العلاقة بين التراث والعمارة المعاصرة من موقع عملي؛ إذ يضع المعارف المتوارثة التي أسهمت في تشكيل الإرث المعماري السوري أمام إمكانيات البحث والتجريب والتطوير، في وقت تواجه فيه سوريا تحديات واسعة في الترميم وإعادة الإعمار. وتكتسب تقنيات البناء المحلية في هذا السياق أهميةً متجددة، لما تختزنه من معرفة قابلة للتطوير والإفادة منها في بناء يستجيب لمتطلبات الحاضر، ويحافظ في الوقت نفسه على صلاته بخصوصية وهوية المكان وذاكته.

المعرفة التي أنتجت العمارة السورية. فالطين والحجر والبازلت والخشب أثّرت وظيفة البناء، وحملت في الوقت نفسه خرافات تراكمت عبر أجيال، وأسهمت في تشكيل هُويّة المكان وأنماط العيش فيه. ومن هذا المنطلق، يتسع صون التراث ليشمل المبنى، إلى جانب المهارات والتقنيات والمعارف التي أسهمت في إنتاجه. وأكد الصالح أن العودة إلى المواد التقليدية لا تعني استنساخ الماضي، وإنما دراسة المعرفة الموروثة وتطويرها وفق البحث العلمي والمعايير الحديثة. وفي هذا السياق قال: «إن تدريب طلابنا وشبابنا على هذه التقنيات هو عملٌ ثقافي بقدر ما

إصدارات الهيئة العامة السورية للكتاب



التكايا والسرايا
عن علاقة المتصوفة بالسلطة عند الترك
محمد نور النمر



عنوان المرقصات والمطربات
من زهرات النثر وبدائع الشعر
لابن سعيد الأندلسي (610 - 685م)
حققه وقدم له
د. محمد رضوان الداية



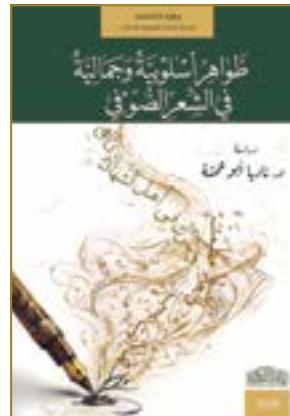
مجلة المعرفة
الأعداد 732-735



مستقبلنا بلا مخدرات
كتيب الشباب
د. ربا ياسين



مستقبلنا بلا مخدرات
كتيب الأسرة
د. ربا ياسين



ظواهر أسلوبية وجمالية
في الشعر الصوفي
د. ناديا أبو عمشة



المنثور البهائي
تأليف: أبي سعد النيرماني
علي بن محمد بن خلف
تحقيق:
د. علي إبراهيم كردي

ما يبقى بعد الصفحة الأخيرة

أفكر دائماً فيما يبقى معنا بعد أن ننتهي من قراءة مجلة أو كتاب. قد تستوقفنا جملةً فتفتح أماننا معنى لم نفكر فيه من قبل، أو تذكّرنا صورةً بمكان عرفناه يوماً، أو تجعلنا حكايةً نفهم شيئاً عشناه ولم ندركه في لحظته. ومع هذا العدد، كان انتقالنا بين المدن والمناطق يقربنا أكثر من ذواتنا؛ نقرأ عن عادات قد نعرف بعضها، ونكتشف بعضها الآخر للمرة الأولى، وفي كل مرة كنّا نقترّب فيها من تفصيل، كان يظهر أماننا جانب جديد من سوريا، فنجد عادةً كنا نظن أنها تخص منطقةً بعينها، ثم نكتشف أن معناها حاضر في مناطق أخرى، وإن اختلفت الأسماء والطقوس والتفاصيل.

وقد يبقى معنا من الشعر بيتٌ لا نعرف لماذا ظلّ عالماً في الذاكرة، أو كلمة أعادت إلينا شعوراً قديماً، كما قد يجعلنا شكل حرفٍ نتوقف أمام اللغة نفسها، لا بوصفها كلمات نقرأها فحسب، بل أثراً تركته أجيال قبلنا. وفي العائلة أيضاً، تبقى أشياء كثيرة؛ حكاية تُروى أكثر من مرة، عادةً نمارسها دون أن نسأل عن أصلها، أو تفصيل صغير ينتقل من بيت إلى آخر ومن جيل إلى جيل، حتى يصبح جزءاً من طريقتنا في فهم أنفسنا والآخرين. ولعلّ فنجان القهوة واحدٌ من هذه التفاصيل؛ ففي سوريا تتغيّر دلالاته بتغيّر اللحظة التي يُقدّم فيها: قهوة «أهلاً وسهلاً» لاستقبال القادم، وقهوة تطيل الحديث والجلسة، وأخرى «لترويق المزاج». ومن تفصيل صغير كهذا، نستطيع أن نقرأ شيئاً أكبر عن علاقتنا بالضيف، وبالوقت، وبالجلوس مع الآخرين، وعن المعاني التي منحناها لأبسط عاداتنا اليومية. وأظن أن هذا هو الجانب الذي أحبّه في العمل على «مجلة الشام». فنحن نبدأ من فكرة أو موضوع، ثم تأخذنا التفاصيل إلى أسئلة لم نكن نفكر فيها عند البداية..

نبحث عن حكاية، فنصل إلى تاريخ كامل، ونقرأ عن مكان، فنكتشف أن المسافة بيننا وبينه لم تكن سوى مسافة «معرفة». نعيش اليوم تحولاتٍ كثيرة، صغيرةً وكبيرةً، ونحاول خلالها أن نفهم أنفسنا والبلاد، وفي وسط كل ذلك، تمنحنا الثقافة مساحةً للمعنى، نعود فيها إلى ما بقي في الذاكرة، وننظر إليه من جديد، ونسأل عما نريد أن نحفظه ونرويه للأجيال القادمة.

قد نطوي الصفحة الأخيرة للعدد، ونشعر أن شيئاً منه ما يزال مفتوحاً؛ سؤالاً لم نجد له جواباً بعد، أو صورةً تعيدنا إلى مكان نعرفه، أو حكايةً تترك معنا معنى عشناه من قبل.

ولعلّ أجمل ما يبقى من القراءة هو ما يبدأ أثره بعد الصفحة الأخيرة.



هريم حجير
مديرة التحرير